HEINRICH BÖLL STIFTUNG
الرباط
المغرب

أشكال التمييز التقاطعي في المغرب: نحو إظهار التهميش

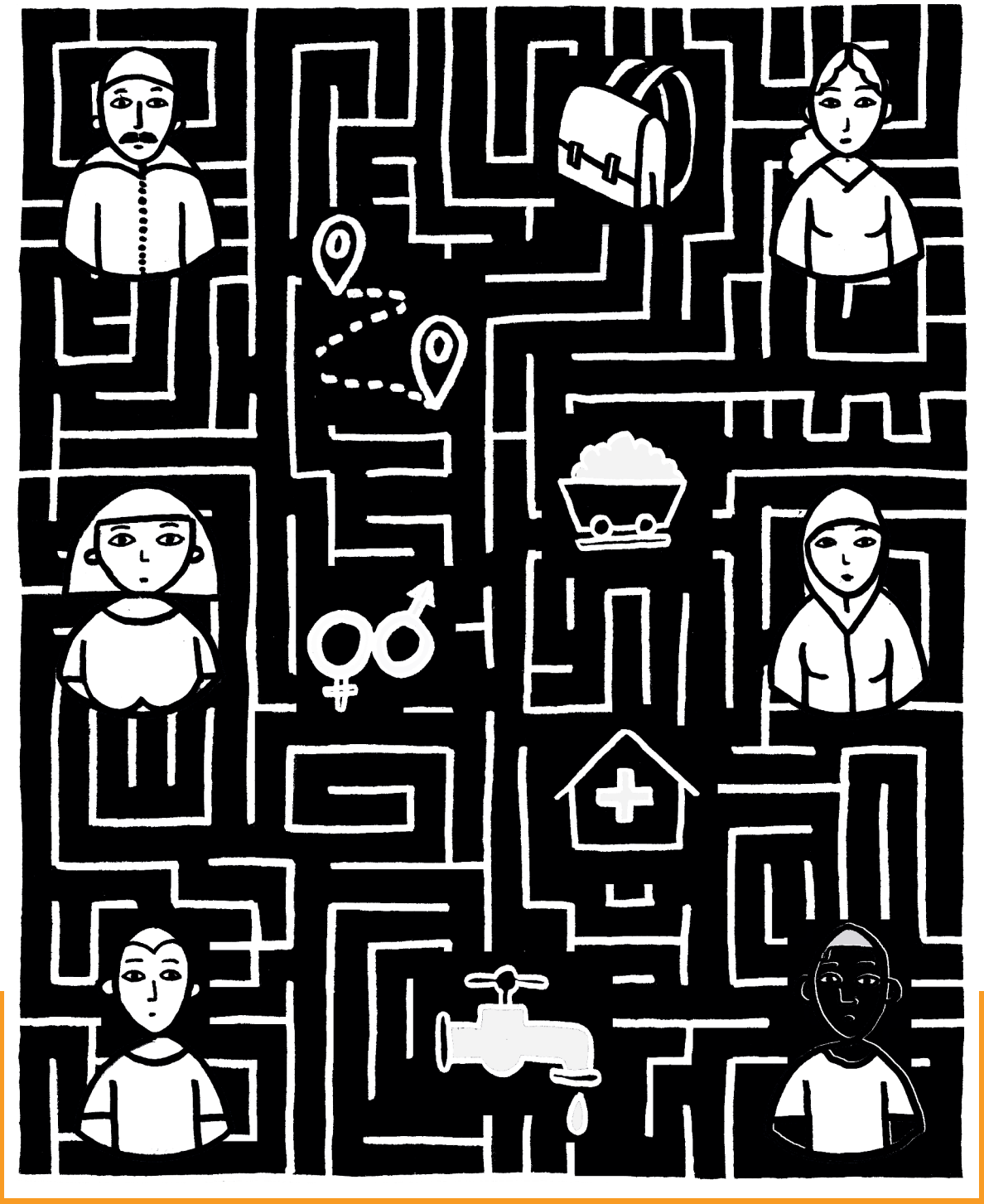

بمشاركة: هشام حذيفة، دنيا ز.مسفر، صلاح الدين لمعيزي ونعيمة الشرعي.

دجنبر 2022

HEINRICH BÖLL STIFTUNG

الرباط

المغرب

أشكال التمييز التقاطعي في المغرب: نحو إظهار التهميش

بمشاركة: هشام حذيفة، دنيا ز.مسفر، صلاح الدين لمعيزي ونعيمة الشرعي.

دجنبر 2022

فهرس

1 نبذة عن مؤسسة هاينريش بول، الرباط-المغرب وعن المشاركين في الكتاب
ص. 6

2 مقدمة: سياق ومبررات المقاربة
ص. 10

3 الحوز، قلعة السراغنة، شيشاوة: الفتيات الصغيرات في مواجهة أشكال التمييز التقاطعي
هشام حذيفة
ص. 13

4 المعاناة المضاعفة للنساء في وضعية إعاقة
زينب مسفر
ص. 21

5 من خريبكة إلى الخرطوم، مصير متقاطع لشباب مهاجر
صلاح الدين لمعيزي
ص. 29

6 إكنيون : ما بين عدم المساواة السوسيو-اقتصادية والكوارث البيئية
نعيمة الشرعي
ص. 41

1

نبذة عن مؤسسة هاينريش بول الرباط-المغرب

مؤسسة هاينريش بول هي مؤسسة سياسية ألمانية غير ربحية مرتبطة بحزب الخضر، تأخذ على عاتقها مهمة التربية المواطنة والسياسيّة في ألمانيا وخارجها. تعمل المؤسسة، على نهج الكاتب الحائز على جائزة نوبل هاينريش بول، على دعم التنمية الديمقراطية والمستدامة، وتدافع عن قيم حقوق الإنسان، وعن المساواة الجندرية، وعن رؤية شاملة ومدافعة عن البيئة. افتتح مكتب المؤسسة في الرباط عام 2014.

تعمل المؤسسة في المغرب في ثلاث مجالات أساسية هي: 1) البيئة والتنمية المستدامة، 2) الديمقراطية وحقوق الإنسان، و3) الهجرة والتنقل. تعنى المؤسسة في كل هذه الأنشطة عناية خاصة بمقاربة حسّاسة اتجاه المسألة الجندرية.

كيف نعمل؟

من أجل الوصول إلى أهدافها، فإن المؤسسة تعمل في المغرب بشكل وثيق مع شركاء محليين – خصوصا الجمعيات وتنسيقيات المجتمع المدني، ومراكز الأبحاث، والشركات الناشئة. عبر القيام بمبادرات تشاركية، تهدف إلى إطلاق حوار عمومي، والتشبيك، ونشر الممارسات الفعالة، مع تعزيز الحوار بين مختلف الفاعلين على المستوى المحلي والوطني والدولي.

محور البيئة والتنمية المستدامة

في سياق التحولات المناخية والتدهور المستمر للبيئة، فإن مؤسسة هاينريش بول، تهدف إلى المساهمة في بناء نموذج للتنمية البيئية المستدامة، والعادلة والتشاركية في المغرب.

تهدف المؤسسة عبر مشاريعها البيئية، إلى مواكبة المجتمع المدني، والمستثمرين الخضر، والمؤسسات المحلية والوطنية في سيرورة الاستدامة، التي ينخرط فيها المغرب، مع التركيز على أربعة محاور كبرى: الانتقال الطاقي، تدبير النفايات، السياسة الفلاحية وكذلك التنمية الحضرية.

بمعيّة شركائنا، ندافع عن انتقال طاقي غير مركزي وتشاركي، ونطور مقاربات لتقليص النفايات وإعادة تدويرها، كما نضع أسس انتشار الزراعات البيولوجية، ونعمل على قيادة مبادرات من أجل تنمية حضرية مستدامة ومندمجة.

محور الديمقراطية وحقوق الإنسان

بالارتكاز على التوجهات الاستراتيجية للدستور المغربي، تلتزم مؤسسة هاينريش بول بتعزيز الحقوق المدنية والمشاركة المواطنة والمساواة الجندرية في المغرب.

تودّ المؤسسة، عبر برنامجها المتعلّق بالديمقراطية وحقوق الإنسان، خلق فضاءات مندمجة للتعبير والحوار وتعزيز القدرات لفائدة الفاعلين السياسيين وناشطي المجتمع المدني وكذلك الباحثين. وتركز مجالات أنشطتها على: المشاركة السياسية، والمساءلة، والديمقراطية الجندرية وعدم التمييز.

بتعاون مع شركائنا، نقترح على الشباب فضاءات للحوار ودورات تدريبية في مجال المواطنة، كما نعمل على نشر وتعزيز ممارسات الشفافية في إدارة المجال العام، ونقوم بتوعية الجمهور بخصوص المساواة الجندرية، كما نقوم بتقديم مقاربة مناهضة للتمييز وتقاطعية.

محور الهجرة والتنقل

انطلاقا من أهمية حركة تنقّل الناس بالنسبة إلى القارة الإفريقية، فإن المؤسسة تريد المساهمة في نقاش الهجرة المرتكز على الوقائع والمؤسّس على حقوق الإنسان في المغرب وفي المنطقة.

تهدف المنظمة عبر عملها على الهجرة والتنقل، وبتعاون مع الشركاء الجمعويين والأكاديميين والفنيين والسياسيين، إلى تعزيز قدرات الأشخاص المهاجرين، والفاعلين في المجتمع المدني الذين يعملون على هذا الموضوع، لأجل مجتمع تعدّدي، وعادل يحترم حقوق المهاجرين.

لهذا الغرض، نشجّع مع شركائنا على البحث الأكاديمي في المغرب، بخصوص أسئلة الهجرة، ونقوم بالتشبيك بين فاعلي المجتمع المدني، والسياسة، والجامعة، ونشجّع تحقيق أشكال الحوار ونقاشات جديدة بين المغاربة والمهاجرين عبر مداخلات فنية.

بخصوص الصحفيين وكتاب هذا المؤلَّف

هشام حذيفة: عمل هشام حذيفة صحفيا منذ عام 1996 مع عدة مؤسسات إعلامية من ضمنها «لوجورنال» و»لافي إيكونوميك»، وهو مؤسس شريك، لدار النشر المختصة في الكتب الفكرية «أون توت ليتر» (En toutes lettres)، حيث يدير المجموعة الخاصة بالأبحاث. كما يعتبر مؤسسا شريكا لبرنامج «أوبن شباب»، وهي عبارة عن ورشات ماستر كلاس مختصة في التدريب على قيم الصحافة وتقنياتها.

دنيا ز.مسفر: هي من الأعضاء المؤسسين للشبكة المغربية لصحفيي الهجرات، وعضو في اتحاد الصحافة الفرنكفونية. تعمل دنيا ز.مسفر صحفية منذ عام 2002 وتعمل أساسا على المواضيع الاجتماعية ومن ضمنها تلك المتعلقة بحقوق النساء، وحقوق الأشخاص في وضعية إعاقة، والهشاشة الاجتماعية في المغرب، إلخ. ما بين 2019 و2020 أنجزت لصالح اليونسكو دراسة حول التصورات الاجتماعية بخصوص الأشخاص في وضعية إعاقة في المغرب، وأيضا وصلات فيديو، وحلقات بودكاست وثائقي، بخصوص هذا الموضوع. شاركت في كتابين جماعيين: «الهجرة في المغرب، الطريق المسدود؟» ***Migration au Maroc, l'impasse ?*** و»العدالة المناخية والحاجيات الاجتماعية المستعجلة» ***Justice climatique et urgences sociales*** وقد صدرا معا عن دار النشر «أون توت ليتر».

صلاح الدين لمعيزي: رئيس تحرير الموقع المستقل «الناس» ENASS ورئيس الشبكة المغربية لصحفيي الهجرات، يعمل صلاح الدين لمعيزي على مواضيع العدالة الاجتماعية والبيئية. وهو حائز على جوائز على المستوى الوطني والدولي، خاصة الجائزة الأولى في مسابقة Migration Media Awards عام 2017. كما شارك في كتابين جماعيين هما «الهجرة في المغرب، الطريق المسدود؟» ***Migration au Maroc, l'impasse ?*** و»العدالة المناخية والحاجيات الاجتماعية المستعجلة» ***Justice climatique et urgences sociales*** وقد صدرا معا عن دار النشر «أون توت ليتر».

نعيمة الشرعي: تعمل حاليا صحفية استقصائية لفائدة المجلة الأسبوعية «لوربورتير»، وهي حائزة على عدة جوائز من ضمنها المرتبة الثانية في الجائزة المغربية لصحافة التحقيق (صنف الصحافة الفرنكفونية)، عام 2013، وحصلت على جائزة الحسن الثاني للبيئة (صنف وسائل الإعلام) عام 2018، وعلى جائزة مسابقة الصحافة في تونس عام 2020، والجائزة الكبرى للصحافة الوطنية (صنف الصحافة المكتوبة) عام 2021.

بخصوص الرسّامة

زينب بنجلون. هي فنانة درست الفنون الجميلة وإخراج الأفلام الوثائقية، وتركز في ممارستها على الرسم والكتابة. تتخذ كتبها شكل الخرائط، والرواية المصورة، والرسوم. قدمت زينب بنجلون عروضا في المغرب وخارجه من ضمنها معرض في « Gaîté lyrique La » في باريس، و»Voice Gallery» في مراكش و» Ministerium für Illustration» في برلين، و

«La Cité de la bande dessinée» في أنغوليم الفرنسية و»غاليري تانيت» في بيروت. تقوم بإدارة ورشات للكتابة والرسم مع جماهير مختلفة في المغرب وخارجه حول مواضيع اجتماعية مثل العائلة، والتاريخ، والمدينة، والبيئة.

2

مقدمة: سياق ومبررات المقاربة

تعمل مؤسسة هاينريش بول، الرباط-المغرب منذ بدايات نشاطها في المغرب على التنمية الديمقراطية والمستدامة، وتحاول اختبار مقاربات جديدة يمكن أن تجعل من عملها وأيضا مشاريع المنظمات الشريكة لها أكثر إدماجا. في هذا السياق فإن المقاربة التقاطعية سرعان ما فرضت نفسها كأمر بديهي بالنسبة إلى هاينريش بول، الرباط.

تعني التقاطعية دراسة وتحليل الهويات الاجتماعية التي تتقاطع وتتشابك، وأيضا أنظمة الهيمنة التي يمكن أن تنتج عنها وضعياتُ قمع وتمييز. في الواقع، فإن هذا المصطلح يهتم بالسيرورة التي تتفاعل فيما بينها تصنيفات مختلفة من قبيل الجنس والعرق والطبقة الاجتماعية والإعاقة والتوجهات الجنسية والسنّ، على مستويات متعددة وفي غالب الأحيان متزامنة، وهي تعكس بهذه الطريقة كيف أن كلّ ملمح من ملامح الشخص متشابك بشكل معقد مع كل هذه الهويات الأخرى.

تتجاوز التقاطعية مجرد تصور نظري، إذ أنها أداة تمكننا من أن «نضع نظارات» يمكننا بفضلها أن نركز بشكل أحسن على وضعيات التهميش و/أو الامتيازات التي تواجهنا شخصيا و/أو تلك التي نرصدها حولنا. بالتالي يؤدي بنا هذا إلى انفتاح أكبر وحساسية اتجاه قضايا الآخرين بمختلف أشكالهم، وذلك بشكل يتجاوز وضعنا الذاتي، وبالتالي يمكننا من خلق تحالفات وأن نقوم بعمل المرافعة المشتركة، التي ترتكز على قوى وامتيازات كل شخص، وهذا لنتمكن في آخر المطاف، من ضمان التحرر الاجتماعي والمساواة في الحقوق للجميع.

رغم أنه تم التنظير له عام 1989 من طرف الخبيرة القانونية الأمريكية والأفرو-نسوية كمبرلي كرينشو Kim-berlé Crenshaw، فإن التصور الأساسي للتقاطعية هو حديث نسبيا، ويظل بشكل واسع غير مفهوم و/أو لا يتم استعماله بالشكل الكافي في العالم، خاصة في المغرب. منذ عام 2020، قرر مكوّن الديمقراطية وحقوق الإنسان لدى مؤسسة هاينريش بول، الرباط- المغرب، أن يجعل مهمته في إظهار أشكال التمييز المتعددة والمتقاطعة في المغرب، وأن يقدم أدوات إلى منظمات المجتمع المدني بخصوص المقاربة التقاطعية، وتقريب هذا المفهوم من جمهور واسع.

بالنسبة إلى مؤسسة هاينريش بول، الرباط، فإن التقاطعية تشكل عنصرا هاما حقيقيا، لأنه هناك قلة من الأبحاث والممارسات التي تتمحور حول العلاقات المتعددة ووعود التقاطعية في المغرب. في الواقع، فإن غالبية الفاعلين في

المجتمع المدني المغربي ينحون اتجاه التركيز بشكل حصري على ملمح واحد من ملامح التمييز، مثل التمييز على أساس النوع، أو الإعاقة، أو الدين، أو الطبقة الاجتماعية، بدل الاهتمام بالخصوصيات والدينامية الجديدة التي تحدث حينما تتقاطع عدة محاور للتمييز، وبالتالي، محاولة معرفتها وتفكيكها في شموليتها وتعقيدها.

في هذا السياق، طلبت مؤسسة هاينريش بول الرباط من خبيرتين في عام 2020 تصوُّرَ وتحرير علبة أدوات أطلق عليها: «**تحديات ووعود التَّقَاطُعِيَّة في المغرب: علبة أدوات لتحديد وعرض وتفكيك أشكال التمييز المتعددة والمتقاطعة**»، الذي أنجز بمشاركة نحو عشرين فاعلا من المجتمع المدني المغربي. نشرت علبة الأدوات هذه عام 2021، وكان لها طموح مزدوج يتمثل في إنجاز تشخيص على مستوى فهم وممارسة التقاطعية في المغرب، وأيضا تطوير ممارسات فعالة ومحسوسة وبراغماتية، وخصوصا ملائمة للسياق وحاجيات منظمات المجتمع المدني العاملة في المغرب.

من أجل أن نقوم بتقريب هذا المفهوم أكثر للمنظمات الشريكة لمؤسسة هاينريش بول، الرباط، قمنا بتخصيص مجهوداتنا عام 2021 لتصور وتنظيم مجموعة من الدورات التدريبية للمدربين بخصوص المقاربة التقاطعية ولفائدة فرق تعمل مع مجموعة من منظمات المجتمع المدني المغربي، وهذا من أجل تمكينهم من تطبيق المقاربة التقاطعية داخل البنيات الداخلية لهذه المنظمات ونقله إلى الفئات التي يستهدفها عمل المنظمات. من ضمن الجمعيات التي استفادت من هذه المبادرة: «شبكة الرواد الشباب بتيفلت»، و«منصة الجمعيات والجماعات المتحدرة من إفريقيا جنوب الصحراء في المغرب»، و«جمعية الحمامة البيضاء» و«شابات من أجل الديمقراطية».

خلال هذه السنة تواصلت مؤسسة هاينريش بول، الرباط، مع صحفيين استقصائيين مغاربة من أجل إنتاج ربورتاجات تهدف إلى استكشاف وتحليل وضعيات التهميش التي تعيشها مختلفة الساكنة الهشة التي تعيش في المغرب، وهذا انطلاقا من وجهة نظر تقاطعية. هذا الكتاب أتى إذن لتجميع الربورتاجات المذكورة، التي أنتجت من طرف الصحافيين هشام حذيفة، ودنيا ز.مسفر، وصلاح الدين لمعيزي، ونعيمة الشرعي فيما أنجزت الفنانة زينب بنجلون رسومه. إذا ما كانت الربورتاجات قد أنجزت بشكل منفصل عن بعضها البعض وفق المواضيع التي يهتم بها الكتاب الصحفيون وحساسية كل منهم، فإن الكِتاب يركّز في مجمله على إظهار مختلف أشكال التمييز التقاطعي الموجودة في المغرب ويعطي بعدا إنسانيا للشخصيات عبر حكاية قصص حياتها، وهذا من أجل تحديد أشكال التمييز والتعرّف عليها.

مثل بقية أجزاء هذا المشروع المفتوح، والتي من ضمنها سلسلة من وصلات الفيديو الرقمية بالدَّارِجة (العامية المغربية) التي هي في طور الإنتاج، فإن هذا الكتاب الجماعي يرغب في أن يكون مساهمة في المجهودات التي تنجز في المغرب وعبر العالم من أجل جعل المثل الديمقراطية واقعا ملموسا وكونيا.

3

الحــوز، قلعــة السراغنــة، شيشــاوة: الفتيـات الصغـيرات في مواجهـة أشـكال التمييــز التقاطعــي

في المناطــق الثلاثــة التــي أنجزنــا فيهــا هــذا الربورتاج/التحقيــق، أي كلّ مــن الحــوز وقلعــة سراغنــة وشيشــاوة، تعيــش الســاكنة التــي التقيناهــا في الفقــر والعــوز، وتعــاني مــن العزلــة ومــن غيــاب البنيــات التحتيــة الأساســية. مظاهــر التمييــز هاتــه، المتقاطعــة والمتعــددة، تنعكــس آثارهــا أكــثر عــلى الفتيــات. يظهــر هــذا مــن خــلال نســبة الهــدر المــدرسي الهامّــة، التــي يترتــب عنهــا العمــل في ســنّ مبكــرة، والــزواج قبــل ســنّ الثامنــة عــشرة. ربورتــاج

بقلم هشام حذيفة

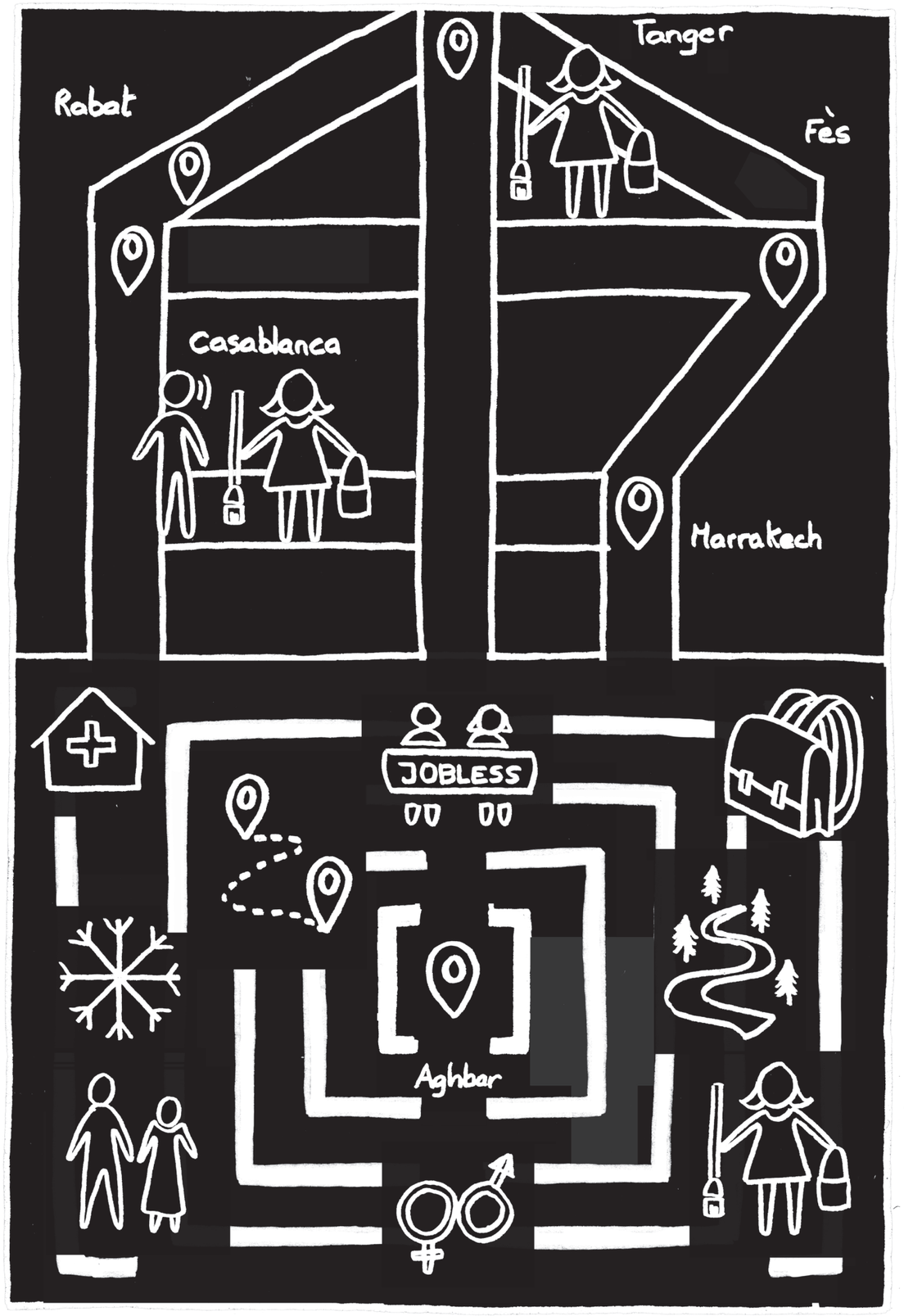

رسم من إنجاز الفنانة زينب بنجلون

في منقطة الحوز، وعلى الطريق الرابطة بين مراكش وتارودانت توجد الجماعة القروية إجوكاك. تقع الجماعة في قيادة ثلاث نيعقوب، في دائرة أسني. أبعدَ منها في الجنوب، توجد الجماعة الصغيرة أغبار، التي تقع في نفوذ نفس القيادة. في هذه القرية البعيدة عن الطريقة الوطنية، والتي نصل إليها عبر طريق وعرة، اضطر جزء كبير من الأطفال التخلي عن دراستهم في نهاية المرحلة الابتدائية. نورة[1] التي تبلغ اليوم 18 سنة، اضطرت إلى الذهاب للعمل كخادمة في مراكش، حين كان عمرها 13 سنة. «**كانوا يضربونني ويهينونني لأنني لم أكن أقوم بالأعمال المنزلية كما يجب، بحسب معاييرهم بطبيعة الحال. كانوا يمنعونني أحياناً من النوم في سلام. حينما كنت أرى البنات يذهبن إلى المدرسة في الشارع، كنت أبكي وحيدةً في ركني. لستُ حالة وحيدة. في قريتنا، هناك الكثير من الفتيات اللّواتي ما زلن يعملن في الدار البيضاء والمدن الكبرى**».

تعيش نورة بعيداً عن القرية، في دوّار نُحت في الصخر. شُيّدت البيوت من الطين فيما تبدو داخلها مظاهر الفاقة التي تعيش فيها ساكنة المنطقة الجبلية. للوصول إلى الطريق غير المعبّدة، يجب على نورة المشي لمسافة سبعة كلومترات. وفي الشتاء يستحيل المرور عبرها، خاصة مع تساقط الثلوج. تنعدم وسائل النقل تقريباً ويجب الحذر من تساقطات الصخور التي قد تؤدي إلى حوادث مميتة. في أغبار، كلما ارتفع المستوى الدراسي، كلما ابتعدت المسافة بين البيت والمؤسسة المدرسية.

يعتبر إبراهيم أيت بوزني، وهو رئيس جمعية تيفاوين (النور بالأمازيغية)، أحد الفاعلين الجمعويين في المنطقة. يناضل منذ عودته إلى أغبار، من أجل إعادة إدماج فتيات الدواوير الأكثر عزلة في المنطقة: ويدران، إمليل، ومكايات. كان إبراهيم أول تلميذ ضمن الحاصلين على الباكالوريا في أغبار عام 2017. بعد دراسات في مراكش، قرّر العودة إلى منطقته الأصلية، من أجل «**أن أكون نافعاً لجماعتي وللشباب في المنطقة**». «**تعاني هذه المنطقة كثيراً من العزلة. لدينا نسبة مرتفعة جداً من الهدر المدرسيّ، لكننا نعاني أيضا في أغبار حيث يعيش ما بين *600* و*700* شخص من مشاكل من قبيل غياب الأطباء أو مستوصف. العديد من أطفالنا لم يحصلوا على التلقيح**»، يتأسّف إبراهيم. مع شباب آخرين من المنطقة، عزّز من الحملات التحسيسية لدى آباء البنات. ينظمون سنويا مهرجانا يحتفل بالطفل القروي. «**بفضل هذا العمل ومساعدة جمعية إنصاف، تمكّنت الكثير من الفتيات من العودة إلى الدراسة. نحن فخورون بكل هذا العمل، لأنه في عام *2021*، حصلت أول فتاة من أغبار على الباكالوريا وهي فاطمة أيت بوزلي. ستكون بمثابة القاطرة لفتيات المنطقة**»، يقول إبراهيم متحمسا.

في هذا المكان المعزول، بعيدا عن كل شيء، عملت «إنصاف» خلال السنوات الأخيرة من أجل النضال ضد مغادرة البنات للمدرسة في أغبار. في كل يوم أحد، تسير نورة وليلى وبنات أخريات على الأقدام، لـ 7 كيلومترات، من أجل الوصول إلى الطريق، ثم يركبن وسائل النقل، لقطع مسافة 54 كيلومترا التي تفصلهنّ عن إجوكاك حيث توجد «دار إنصاف»، وهي مأوى تقيم فيه الفتيات أسّسته إنصاف (أنظر الإطار).

1 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

فتيات «مُعارات»...

لا تمس ظاهرة عمل الأطفال منطقة قلعة سراغنة فقط، بل أيضا زواجُ القاصرات. هذا الإقليم الذي يزخر بـ219 جماعة ضمنها 197 جماعة قروية، يعرف نسبة قياسية من الأمية والهدر المدرسي. قلعة سراغنة التي تقع 20 كيلومترا بعيدا عن مراكش، شهدت هجرة شبابها انطلاقا من سنوات الثمانينيات، أساساً إلى إيطاليا وإسبانيا. كما شهدت مصيرا مشابهاً لآخرين هاجروا إلى مدن متوسطة مثل الفقيه بنصالح وواد زم وبني ملال... كما أن المنطقة خلقت الحدث في وسائل الإعلام عام 2014، حينما كشف النسيج الجمعوي عن وجود زواج بالعقد يعرف بزواج «الكونطرا»، ويتعلق الأمر بـ»تسليم» الفتيات القاصرات إلى رجال هم في الغالب مغاربة مقيمون في الخارج، مقابل عقد دين، ببضعة عشرات آلاف الدراهم في ذمة آبائهن. ظاهرة ما تزال قائمة...

تعيش إلهام[2] في دوار بنعمّار، في منطقة الجبيل، قريبا من القلعة. هي اليوم طالبة جامعية، لكن بدورها عاشت تجربة العمل المنزلي. «**لقد كبرنا مع فكرة أنه بالنسبة إلى الفتاة، لا توجد مدرسة بعد الابتدائي، وأنه يجب عليها أن تتزوج أو تجد عملاً عند العائلات الميسورة في كل من مراكش والدار البيضاء. وحدَهم الأولاد الذين يملكون الحق في إكمال تعليمهم وأن يخرجوا من القرية. خاصة أنه لم يكن هناك وسائل نقل بين دوارنا وبين مدينة قلعة السراغنة**»، تشرح لنا إلهام. إلهام وسعاد[3] هما الفتاتان اللّتان فتحتا الطريق أمام بقية فتيات الجبيل، ليذهبن أبعد من الابتدائي، وأن يحصلن على الباكالوريا، وينطلقن في الدراسات العليا. «**كان هناك أيضا واقع أنه بالنسبة إلى الأسر فإن دار الطالبة *x* كانت مكاناً يثير الشبهات، ومفتوحا أمام الأولاد. وهي بطبيعة الحال فكرة خاطئة. حينما نجحنا في المرور إلى الإعدادية ثم الثانوية، ونحن نقيم في «دار الطالبة» (إقامة داخلية مخصصة لتلميذات الإعدادية والثانوية اللواتي تعيش عائلاتهن بعيداً عن المؤسسات التعليمية)، أصبحنا نموذجاً يقتدى به في الدوار**»، تضيف إلهام.

إذا كانت عزيمة إلهام وسعاد حاسمة بالفعل في استمرارهما في الدراسة، فإن ما قدّمه المجتمع المدني كان مهماً بنفس القدر. «**عمر وبقية أعضاء إنصاف ذهبوا إلى عائلاتنا وأقنعوها بأهمية الدراسة. كما ساعدونا على الحصول على منحة وفي شراء اللوازم المدرسية، إلى أن حصلنا على الباكالوريا. أن نعلم أن هناك هؤلاء الأشخاص الذي يهتمون بمصيرنا كان حافزا كبيرا بالنسبة إلينا**».

ما ساعد هؤلاء الفتيات أيضا هم أساتذة من طينة محمد بوشحمة، الذي كان يتابع تلميذاته، ويذهب للقاء أسرهن، ويفعل كل ما في وسعه ليعدن إلى مقاعد المدرسة. «**أعمل بتعاون مع إنصاف لتحديد المرشحات المحتملات لمرافقتهن، لكن أيضا من أجل تفادي الهدر المدرسي. إنهن تلميذات تابعتُهُنَّ بعد الابتدائي في الإعدادية والثانوية. هذا العمل حاسم في المناطق المهمشة مثل منطقتنا**»، يؤكد محمد بوشحمة «.

2 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم
3 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

منذ عام 2011، استفادت 85 بنتا من القلعة وجبيل ولوساندة من برنامج إنصاف. «**من ضمن هذا العدد، *70* في المئة استطعن الولوج إلى الإعداديات والثانويات وتفادي العمل المبكر أيضاً أو زواج القاصرات، المنتشر في المنطقة. مرة أخرى، كان نجاح هذا البرنامج بفضل التعاون الوثيق بين إنصاف والجمعيات المحلية، والمعلمات/ين، والسلطات المحلية**»، يشرح عمر سعدون، المسؤول عن قطب مكافحة العمل المنزلي في جمعية إنصاف.

لقد ابتدأت المغامرة الجميلة لكلّ من عمر سعدون وفريقه في شيشاوة وفي إمنتانوت، عام 2005. كانت هذه المنطقة تشتهر تاريخيا على الصعيد الوطني بأنها «المُموّل» لليد العاملة المنزلية، خاصة تلك القاصرة. ولهذا السبب أطلقت فيها «إنصاف» برنامجها لمكافحة عمل البنات الصغيرات، بعد أن عملت طيلة سنوات في مجال مساعدة ودعم الأمهات العازبات. فضلاً عن ذلك، فإن المساعدات الاجتماعيات اللواتي يعملن في الجمعية اكتشفن خلال حوارهنّ مع الأمهات العازبات أن جزءاً كبيراً منهن هن «خادمات صغيرات السن».

«في شيشاوة وإمنتانوت، بدأنا في العمل داخل أربع جماعات، قبل أن نُعمّم مبادرتنا في *22* جماعة تم تحديدها كجماعات تقدّم «الخادمات صغيرات السن». قمنا بإنجاز عملية التحديد هذه بشراكة وثيقة مع النسيج الجمعوي المحلي الذي قمنا بتحسيسه بالموضوع. السلطات العمومية، بما فيها من مقدمين وشيوخ وقياد انخرطت في مبادراتنا. كما دعونا أيضا السكان والمُعلّمين من أجل العثور على هؤلاء الفتيات القاصرات اللواتي أُرسلن إلى المدن من أجل العمل. حاولنا أن نعبّئ كل الفاعلين في هذه المنظومة، من أجل أن ننقذ أكبر قدر من البنات من العمل المنزلي أولا، وثانيا أن نعمل على الوقاية»، يتذكر عمر سعدون. عمر سعدون وخديجة العلالي وأمل محسن والعربي بخوز، انخرطوا بكل طاقتهم من أجل تحطيم هذه الحلقة التي تسهّل الهدر المدرسي للطفلات. «**أصبحت الجمعيات المحلية شريكة بشكل كامل في هذه العملية. كانت تساهم في التحضير لعمليات التحسيس وتنشّط خلايا الإنذار. الأمر نفسه بالنسبة إلى الإدارة الجهوية للتعليم التي لعبت اللعبة وقامت بإعادة إدماج بناتنا بسهولة**». **لقد استطعنا أن ننهي نشاط السَّمْسَارة دون مواجهة. واليوم ضمن *22* جماعة عملنا فيها، لم تعد *19* منها تضم فتيات تقل أعمارهن عن *15* سنة، ويعملن في البيوت**»، يقول عمر سعدون متحمساً. إذا كان من الصحيح، أن المنحة الشهرية التي تبلغ 250 درهما وتعطى للعائلات شهريا، قد شجعت الأسر على إعادة إدماج بناتها في المدارس، فإن التزام فريق «إنصاف» والشركاء المحليين هو قبل كل شيء المفتاح الذي حقق هذا النجاح.

«الانتقام لحياتي»

في دوار تاكودار، على بعد كيلومترات من إمنتانوت، تتابع فاطمة أيت مولي دراستها في مؤسسة عمومية من أجل أن تصبح مساعدة اجتماعية. رغم أنها اضطرت إلى الانقطاع عن الدراسة في سن مبكرة جداً، في سنّ التاسعة، وهي في السنة الثانية ابتدائي. «**أصيب والدي بمرض عضال واضطررت إلى الذهاب للعمل من أجل مساعدة والدتي وأخواتي الصغيرات. قضيت سنة وأنا أعمل كخادمة لدى أسرة في الدار البيضاء. كنت أقوم بالتنظيف وغسل الأواني وغسل الملابس... كانت معاناة دائمة، خاصة حينما كنت أرى من النافذة الأطفال وهم يحملون المحفظات على ظهورهم**»، تتذكر فاطمة، وهي من أوائل البنات اللواتي اعتنت بهن جمعية «إنصاف». تم

إدماجها في إحدى المدارس وسكنت في دار الطالبة إلى حين حصولها على شهادة الباكالوريا. «**لقد تغيرت حياتي كليا بفضل دعم إنصاف ومعاناة والدتي، التي ذهبت للعمل في الحقول بعد وفاة والدي. في البداية كان هدفي أن أصبح صحفية لأقوم بالتعريف بالفتيات مثلي، لكن عمل المساعدة الاجتماعية بدوره مهم. لقد حُرمت من طفولتي، وأريد أن أمنح كل شيء إلى الأطفال من أجل أن يطوروا مهاراتهم. سيكون هذا هو انتقامي من الحياة**». أختها سهام اضطرت هي الأخرى إلى مغادرة المدرسة من أجل العمل في مراكش كخادمة. استفادت بدورها من البرنامج وحصلت على الباكالوريا، ثم اختصّت في الشعبة المهنية الفلاحية.

غير بعيد يوجد دوار إدوِيران حيث تعيش نعيمة[4]، والتي لأسباب اقتصادية اضطرت للعمل في عمر الحادية عشرة في أحد البيوت في الدار البيضاء. «**لقد استمر هذا لثلاثة أعوام. كان أبي مُسنّا ولم يعد بمقدوره العمل. عملت خلال هذه السنوات عند ثلاث عائلات. عانيت كل أنواع العنف: الشتائم، الصفعات، العقاب من كل نوع، لكن إذا أردت العيش في سلام، يجب أن تتوقف عن التفكير في كل هذه الأشياء**». حين التقيناها قبل بضع سنوات، ولم تكن قد حصلت بعد على الباكالوريا، كانت نعيمة معروفةً داخل دار الطالبة في إدوِيران بمواهبها كرسّامة. «**لقد تعلمت أن أحكي هذه المرحلة من حياتي عبر الرسم. حين تعبر رأسي جملة أو مشهد أحولهما إلى ألوان**». بالتأكيد فإن الفقر هو سبب مهم لظاهرة عمل الفتيات الصغيرات السن، لكن ينضاف إلى هذا أسباب مأساوية من قبيل الموت أو المرض العضال للآباء. لكن بفضل عمل الفاعلين الاجتماعيين فإن عدد الأسر التي ترسل بناتها للعمل في البيوت يتراجع شيئاً فشيئاً، رغم أن المنطقة ما زالت تشهد نسبة هامة من الهدر المدرسي، ومن البنات كما من الأولاد من يتخلون عن الدراسة. ينخرط الموظفون في المديرية الإقليمية للتربية والتعليم الوطني في شيشاوة في هذا المجهود لمكافحة الهدر المدرس، عبر عمليات الإحصاء التي تنجز في مدارس دواوير الإقليم. عملية التحقيق هذه التي يطلق عليها «من الطفل إلى الطفل» ترتكز على شهادات الأطفال المتمدرسين، الذين يبلّغون عن حالات الذين ينقطعون عن الالتحاق بأقسامهم. يمكّن هذا من وضع خارطة للهدر المدرسي على مستوى الإقليم. الفكرة كما يقول من أطلقوها، هي «**أن يصبح الأطفال المتمدرسون سفراء للمدارس**». تُظهر تحقيقات منجزة أنه ما زال من البعيد إمكانية الحديث عن انتهاء الظاهرة، خاصة في دواوير لالا عزيزة وأيت حدُّو ويوسف.

في لالاّ عزيزة، يوجد حميد شتيتي على رأس الجمعية المحلية. ينتشر الهدر المدرسي في المنطقة على الرغم من أن المركز يحتضن إعدادية وأن النقل المدرسي متوفر بشكل جزئي، وأن الأسر تستفيد من برنامج تيسير (وهي مساعدة من الدولة للأسر المحدودة الدخل تتراوح ما بين 60 و140 درهما وفق المستوى الدراسي للطفل). خلال سنوات انخراطها في المنطقة أخذت جمعية «إنصاف» على عاتقها 45 طفلة. «**لقد أصبحن فيما بعد معلمات في المدرسة الابتدائية. البعض منهن تزوجن لكن على الأقل استطعن أن يكملن دراستهن إلى نهاية الإعدادية**»، يؤكد حميد. «**في العديد من الدواوير في هذه الجماعة القروية، من قبيل تامست وتوغاني، وتاموذات، وتامگروت ، من بين دواوير أخرى، فإن الكثير من الفتيات كنّ مضطرات للانقطاع عن الدراسة. لقد عملنا كثيراً للتعرف على أسباب هذا الهدر المدرسي، لأنه ليست دوما واضحة. لقد لاحظنا، على سبيل المثال، أنه بعد وفاة أب يترك للأم خمسة أطفال، فإن الأسر اعتادت على التضحية بإحدى بناتها من أجل تمكين الإخوة والأخوات من الذهاب إلى المدرسة**».

4 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

ركّزت إنصاف منذ عام 2017 على منطقة الحوز وتستمر في عملها إلى يومنا هذا. في أغبار بطبيعة الحال، ولكن أيضا في إجوكاك وثلاث نيعقوبي وإغيل، استهدف عمر وفريقه الجماعات الأكثر عزلة، حيث كانت تلاحظ أعداد هامة من الفتيات اللواتي يغادرن الدراسة باكرا. بالمقابل لم يكن بالإمكان إعادة إدماجهن جميعا. «**لقد أطلقنا منذ عام *2017* برنامجا للتكوين المهني للفتيات اللواتي يبلغن أكثر من *16* عاما، ولم يكن بالإمكان إعادة إدماجهن داخل المدرسة. في دواوير شيشاوة من قبيل نفيفة ودويران وإرحالن قمنا بتكوين *16* فتاة على تربية الدواجن. هؤلاء الأخيرات قمن بتأسيس تعاونية تستمر في العمل وتمكن من ضمان استقلالية مادية، وهي مرادف للكرامة**»، يشرح عمر سعدون.

هذه التجربة تمت إعادة إطلاقها في إقليم الحوز بالتلاؤم مع السياق المحلي. 25 شابة من إجوكاك يبلغن ما بين 17 و20 عاماً استفدن من تكوين يحصلن في نهايته على شهادات، يتعلق بالأعشاب الطبية والزيوت الأساسية. ويتضمن شقا نظريا في مركز السويهلة في مراكش، طيلة خمسة أسابيع. لاحقا، قضت هؤلاء الفتيات المنحدرات من ثمانية دواوير في محيط إجوكاك، ستة أشهر داخل وحدة لإعادة تقييم وتقطير النباتات العطرية والطبية من أجل تعلم تقنيات استخلاص الزيوت، وكيفية الزراعة والتجفيف والعمل على النباتات الطبية. «**لقد عشنا دوما قرب نباتات الجبال دون أن نعلم استعمالاتها المتعددة. اليوم نعلم كل شيء عن المريمية (السالمية) والنعناع والأوكالبتوس والخزامى أو النعناع الأوروبي (فليو). هكذا يمكننا أن نجني رزقنا بفضلها**»، تقول فاضمة وعيونها تشع. الشابة التي تبلغ 17 تركت المدرسة في المرحلة الابتدائية. «**منذ ثلاث سنوات كان عليّ أن أبقى في البيت دون أن أعمل أي شيء. بالنسبة إليّ فإن هذا التكوين هو فرصة عمري من أجل أن أبني مستقبلي**»، تضيف، مقتنعة بما تقوله.

بنيات تحتية تضمن «الكرامة»

بحكم أنه يعمل على الموضوع لما يقارب عقدين من الزمن، فإن عمر سعدون يملك نظرة مصيبة بخصوص الوضع: «**تطلب البنات وأسرهن الدعم. علينا أن نطور عرضا معقولاً من أجل الاستجابة لانتظارات الساكنة المحلية. وهذا ما لا يمكن للمجتمع المدني أن يفعله لوحده**». في الحوز على سبيل المثال، فإن المنطقة حيث تعمل إنصاف، لا تملك إلا إعداديتين إحداهما في ثلاث نيعقوب والثانية غير مجهزة في أغبار. هذا يؤدي إلى ضغط كبير على المؤسسات التعليمية مع أقسام تضم 60 تلميذاً. إلى جانب الإيواء الذي يطرح الكثير من المشاكل. «**غالبية دور الطالبات العمومية ليست مجهزة بشكل جيد. هؤلاء البنات لديهن الحق في سكن كريم وأوضاع مادية ومعنوية جيدة. يجب أن تتغير مقاربتنا العامة من أجل المكافحة الفعالة للهدر المدرسي وضمان السكن اللائق لأطفال بلادنا**»، يتأسف عمر سعدون. في هذه المنطقة كما في دواوير شيشاوة وإمنتانوت والقلعة، فإن الفقر هو عنصر مشترك بين مختلف السكان، لكن هناك أيضا العزلة التي تقصي هذه العائلات. «**بالنسبة إلى البعض فإن الرابط الوحيد مع العالم الخارجي، هو يوم السوق الأسبوعي. ثم إن هناك مشكلة النقل، إذ لا يوجد إلاّ ما يعرف بالنقل المزدوج، حيث يتكدس أحيانا ثلاثون شخصا**». يتعلق الأمر بشاحنات مرسيديس قديمة من طراز 307 و 308، كانت مخصصة في الأصل لنقل السلع، لكنها تستعمل في بعض مناطق البلاد المعزولة لنقل البشر والحيوانات...

حين تتشابك هذه الإشكاليات، تمنع الفتيات الصغيرات في المناطق الثلاثة، ولكن أيضا في مناطق أخرى من البلاد، من متابعة دراستهن، وتمنع أيضا من القضاء على العمل في سن مبكرة وزواج القاصرات. إذا كان الأمر يتعلق في هذا المقال بالفتاة القروية، فإن الأولاد أيضا في هذه المنطقة يتعرضون لتمييز تقاطعي. فالعمل في سن مبكرة يرتبط أيضا بالذكور. بعيداً عن مقاعد الدراسة يعمل الأطفال من الأولاد كرعاة للمواشي، وكعمال فلاحيين. ونجدهم أيضا، كيد عاملة رخيصة في الورشات، وورشات تصليح السيارات والمتاجر (المحلبات) في المدن الكبرى.

دار إنصاف، منارة سلام في إجوكاك

28 يوليوز 2022. دار إنصاف في ثلاث نيعقوب. يخيم جو احتفال في هذا المبنى الذي يؤوي الفتيات الصغيرات من المنطقة واللواتي يتابعن دراستهن في الثانوية المحاذية. السبب: في هذه السنة استطاعت 21 فتاة ترعاهن إنصاف، وينحدرن من شيشاوة والقلعة والحوز، من الحصول على شهادة الباكالوريا. إنهن في المجمل 69 حاصلة على الباكالوريا منذ بداية مشروع مكافحة العمل المنزلي لدى الفتيات القاصرات. أما عدد الفتيات اللواتي تم انتزاعهن من بين مخالب العمل المنزلي بفضل إنصاف فيقدر عددهن بـ675 طفلة قاصرة. أسست إنصاف في الدار البيضاء عام 1999 وكان الهدف منها هو «**مكافحة التخلي عن الأطفال الذين ولدوا خارج مؤسسة الزواج، ووضع برنامج لمساعدة الأمهات العازبات**».

في المنطقة ابتدأ كل شيء في أكتوبر 2018 مع تدشين دار الطالبة إنصاف، الذي كان الهدف منها استقبال 16 طفلة ليكملن دراستهن في إعدادية قرية ثلاث نيعقوب. مبادرة هامة أتت لتساند دار الطالبة الموجودة في القرية، والتي لم تكن قادرة على الاستجابة لكل الطلبات. دار إنصاف هي قبل كل شيء مركز إيواء، لكنها أيضا للدعم المدرسي في الرياضيات والفرنسية بالخصوص، وأنشطة موازية للدراسة، وألعاب تربوية. «**نحاول أن نوفر تأطيراً يساهم في انخراط أفضل في المدرسة. ننظم في هذا الاتجاه مجموعات للتفكير مع بناتنا من أجل التعبير عن حاجياتهن ومعرفة المشاكل التي قد يتعرضن لها**»، تشرح لنا مليكة وهي مساعدة اجتماعية في دار إنصاف. تستفيد الفتيات من رعاية كاملة ومن دعم مدرسي ونفسي. كما توفر لهن مكتبة. «**إنه بيتنا ويوجد هناك تضامن كبير بين البنات**»، شرحت لنا نورة، خلال إحدى زياراتنا.

4

المعانــاة المضاعفــة للنســاء في وضعيــة إعاقــة

التعــرض لأشــكال التمييــز والوصــم والإقصــاء والتهميــش هــو الواقــع اليومــي لــكل النســاء في وضعيــة إعاقــة في المغــرب. عــلى الرغــم مــن ذلــك فــإن الإعاقــة والجنــدر (النــوع)، يتــم التعامــل معهــما غالبــا بشــكل منفصــل، أو بالأحــرى لا يتــم التعامــل معهــما- بحكــم أن النســاء لم يحصلــن عــلى حقّهــن ســواء في حركــة حقــوق الأشــخاص في وضعيــة إعاقــة أو داخــل جمعيــات حقــوق النســاء. لكــن مبــادرات جديــدة داخــل المجتمــع المــدني المغــربي تنبعــث مــن أجــل تســليط الضــوء عــلى أشــكال التمييــز المتقاطعــة التــي تتعــرض لهــا هــؤلاء النســاء. تفاصيــل.

بقلم دنيا ز. مسفر

رسم للفنانة زينب بنجلون

في المغرب، ما زالت النساء كما الرجال في وضعية إعاقة موضع وصم وتمييز وإقصاء مجتمعي. على الرغم من ذلك، فإنه على المستوى المؤسساتي، أعاد دستور عام 2011، التأكيد على الالتزامات المتخذة على الصعيد الدولي من خلال تسجيل مبدأ عدم التمييز ضد الأشخاص في وضعية إعاقة في تصديره. بالإضافة إلى هذا فإن الميثاق المؤسس للمملكة، أي الدستور، يدعو إلى «**إعادة تأهيل الأشخاص الذين يعانون من إعاقة جسدية، أو حسّية حركية، أو ذهنية، وإدماجهم في الحياة الاجتماعية والمدنية، وتيسير تمتعهم بالحقوق والحريات المعترف بها للجميع**» (الفصل 34). من ضمن المكاسب أيضاً يمكننا الإشارة إلى القانون الإطار 97.13 المتعلق بحماية حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة والنهوض بها، لعام 2016، وصندوق دعم التماسك الاجتماعي في مجال الإعاقة، والبرنامج الوطني للتربية الدامجة، ومخطط العمل الوطني للصحة والإعاقة... لكن رغم كل هذه الترسانة فإن الأشخاص في وضعية إعاقة يستمرون في التعرض لأشكال مختلفة من التمييز خلال مسار حياتهم بسبب الحواجز ذات الصبغة القانونية والاقتصادية والتقنية والثقافية والاجتماعية.

«**يعاني الأشخاص في وضعية إعاقة وعائلاتهم من التهميش والوصم والتمييز ومن عدم الإدماج. بالتأكيد أنجز المغرب تقدماً فيما يخص عدة نصوص قانونية، لكن هناك هوة عميقة ما بين هو مكتوب وما أنجز على الميدان. هذا بالأحرى ما يؤاخذه الأشخاص في وضعية إعاقة وعائلاتهم والجمعيات على الدولة. لا تُأخذ الإعاقة بشكل حقيقي في تطوير السياسات العامة. وليست أولوية. نحن دوما في مقاربة خيرية وطبية ولسنا في مقاربة الحقوق**»، يؤكد إدير أوغندي، الفاعل في المجتمع المدني والخبير في مجال حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة وفي التنمية المندمجة.

وفق البحث الوطني حول الإعاقة لعام 2014، والذي أنجزته وزارة التضامن والأسرة والمرأة والتنمية الاجتماعية، فإن 2.264.672 أعلنوا أن لديهم أشكالا مختلفة من العجز: 50,2 في المئة إعاقة جسدية، 25,1 في المئة إعاقة ذهنية، 23,8 يعانون من ضعف البصر. فيما يخص الأسر، فإن أسرة واحدة من أصل أربعة (24,5 في المئة) تضم شخصا على الأقل في وضعية إعاقة، من أصل 7.193.542 أسرة. يخلص البحث أيضا إلى أن 34,1 في المئة فقط من الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة يستفيدون من نظام التغطية الصحية في حين أن 60,8 في المئة لا يستطيعون الولوج إلى الخدمات الصحية العمومية التي تقدمها المنظومة الصحية. بالنسبة لما يخص مستوى التعليم فإن 66,1 في المئة لم يستفيدوا من أي تعليم، وهو ما يعادل 1.476.000 شخص. في ما يخص البطالة فإن 47,5 في المئة، أي ما يعادل 290 ألف شخص، يعيشون في وضعية إعاقة، يعانون منها، أي ما يمثل نسبة تضاعف أربع مرات مستوى البطالة المرصود وطنيا. وأخيرا، فإن 53 في المئة من الأشخاص في وضعية إعاقة يمارسون حقوقهم السياسية (التصويت) لكن شخصا واحدا من أصل عشرة أي 10,6 في المئة، أعلن أنه يعرف كل الحقوق المتعلقة بالأشخاص في وضعية إعاقة التي تضمنها القوانين المغربية.

الإعاقة في زمن الوباء

تدبير الأزمة الصحية خصوصا في بداياتها أظهر بدوره هذا المسافة التي تميز عدم بروز الإعاقة بوضوح في السياسات العمومية المتعلقة بمواجهة الوباء. وهذا ما ينبع من دراسة أنجزتها جمعية «الحمامة البيضاء» في عام 2020 أنجزت مع حوالي 1007 شخص يعيشون في وضعية الإعاقة على مستوى الصعيد الوطني، بمشاركة 41 في المئة من النساء، و59 في المئة من الرجال. بحسب البحث فإن نسبة تغطية الحاجات الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة لم تكن إلا بنسبة 12 في المئة. وعلى ضوء هذه النتائج المحصل عليها من هذا البحث، فإن التحولات الجذرية التي نتجت عن ظهور الأزمة، بالإضافة إلى إقصاء مسألة الإعاقة في استراتيجيات التدبير، ساهمت في تدهور وضع الأشخاص في وضعية إعاقة على عدة مستويات: الولوج المحدود إلى المساعدة من كل أنواعها وإلى المعلومات الخاصة بإجراءات التباعد الاجتماعي وإجراءات الوقاية، وغياب المعلومات الخاصة بنسب الإصابة بكوفيد 19، وعدم الولوج إلى الخدمات الأساسية، وغياب الاستمرارية البيداغوجية لغياب الإجراءات الخاصة بهم، وظهور نسبة مرتفعة من فقدان الخدمات التي يستفيد منها ذوو الاحتياجات الخاصة مقارنة بما قبل الأزمة، وغياب المعطيات المترتب عن عدم الأخذ بعين الاعتبار لبعد الإعاقة بطريقة منهجية وشاملة لكل القطاعات في ما يخص بطاقات المعلومات، وكتيّبات الاستقبال، وتقارير الوضع...

«**بالتأكيد قامت الدولة بمجهود في وقت لاحق، بضغط من المجتمع المدني الذي بعث عدة مراسلات إلى أصحاب القرار من أجل إثارة انتباههم إلى مسألة الإعاقة. هكذا أطلقت مساعدات ودعم من طرف وزارة التضامن لكن هذه المبادرات لم يستفد منها إلا *13.149* شخصا، أي *0.58* في المئة من ذوي الاحتياجات الخاصة في المغرب. وهذا لم يستهدف إلا سكان المجال الحضري. أما الأشخاص الذين يعيشون وضعية الإعاقة في المجال القروي فقد تم تهميشهم. وقد كشف البحث أيضا أن من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين عانوا أكثر في هذه الفترة، هم ذوو الإعاقات الذهنية، وأمهات الأطفال في وضعية إعاقة، والنساء في وضعية إعاقة**»، يوضح إدير أوغندي.

النساء في وضعية إعاقة أمام التمييز التقاطعي

إذا كان الأشخاص في وضعية إعاقة يمثلون 6.8 من السكان المغاربة، فإن القليل من الأشياء تم إنجازها من أجل تحسين شروط اندماجهم الاجتماعي وتمكينهم من الاستفادة بطريقة متساوية وفعالة من جميع حقوق الإنسان ومن كل الحقوق الأساسية. أما النساء في وضعية إعاقة فهن أوّل من يعاني من هذا الوضع. على سبيل المثال هن 66.6 في المئة ممن لم يحصلوا على أي تعليم، فيما أن هذه النسبة تشكل 33,4 في المئة بالنسبة إلى الرجال في وضعية إعاقة. ومن ضمن 290 ألف شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يعانون من البطالة فإن 38,1 في المئة منهم هن من النساء. كما أن النساء هن أقل بتسع مرات حظا من الرجال في الحصول على عمل مقارنة بالرجال[5]. إضافة إلى اقتسام المتاعب التي يعانيها الرجال في وضعية إعاقة، فإن النساء من ذوات الاحتياجات الخاصة يجدن أنفسهن في غالب الأحيان ضحايا لتهميش أشد، في مختلف المجالات وفضاءات المشاركة المُواطِنة.

بسبب المعايير الاجتماعية التي تثقل كاهل النساء بشكل عام، فإنه بالنسبة إلى الولوج إلى المدرسة، أو التكوين أو العمل، ولكن أيضا في ما يخص التمكين والاستقلالية الذاتية، والولوج إلى الفضاء العام، فإن النساء في وضعية إعاقة

5 البحث الوطني حول الإعاقة، وزارة التضامن والأسرة والمرأة والتنمية الاجتماعية، 2014

يراكمن أشكال التمييز. ثم إن التصورات السلبية اتجاههن هي كثيرة. «**نحن مواطنات بشكل كامل، لكن للأسف فإن أصواتنا لا تسمع بالشكل الكافي. بالنسبة إلى المجتمع، فإن المرأة في وضعية إعاقة لا تملك الحق في أن تتزوج، وأن تؤسس عائلة، وأن تكون مستقلة، ومتمكنة... التصورات السلبية اتجاهنا تبدو لصيقة بنا. لكن حان الأوان لتتغير هذه الأمور. نحن لا نطلب الإحسان، ولكن نطالب بحقوقنا وفقط**»، تدين كريمة الحداد الوضع القائم، وهي نائبة رئيس جمعية «الحمامة البيضاء».

في واقع الأمر فإن التفرقة ما بين الجنسين، والتمييز الذي يرتكز على الجندر، يبدوان أكثر وضوحا حينما يتعلق الأمر بالزواج أو الأمومة والأبوة.

حسب الدراسة النوعية بخصوص التصورات الاجتماعية المرتبطة بالإعاقة التي أنجزت عام 2020[6] فإن النساء في وضعية إعاقة يتعرضن لتمثلات اجتماعية خاصة، تستهدف أساسا أنوثتهن وتشكك في قدراتهن على القيام بمهماتهن كنساء، كما يتم تصوّر المهام وفق المعايير الاجتماعية (أي أن يتزوجن، ويرزقن بأطفال، ويؤسسن ويعتنين ببيتهن). أرقام المندوبية السامية للتخطيط، التي نشرت في هذا الإطار عقب دراسة أنجزت عام 2009 حول السكان في وضعية إعاقة في المغرب، تثبت ذلك: أكثر من نصف الرجال من ذوي الاحتياجات الخاصة (54,1 في المئة) جميعهم متزوجون، مقابل 27,8 في المئة من النساء من ذوات الاحتياجات الخاصة. العدد المتوسط للأطفال بالنسبة للمرأة هو 0,6 في المئة لدى الأشخاص في وضعية إعاقة، مقابل 2,5 بالنسبة للأشخاص من غير ذوي الإعاقة. أما نسبة العزوبية في عمر 55 سنة، التي تعتبر نسبة عزوبية نهائية، فإنها تشكل 14,3 في المئة لدى الأشخاص في وضعية إعاقة مقابل 2,5 في المئة لدى السكان «السّليمين»[7]. أما بالنسبة إلى الطلاق فإنه أكثر ارتفاعا في أوساط النساء بمعدل 35,3 في المئة مقابل 3,8 في المئة. «**ولو كان الرجل معاقا، فإنه يظل رجلا، وأحيانا تجد الأسر طريقة لتزويج أبنائها، بأن يختاروا شابة صغيرة السن غير معاقة تعيش في وضع اجتماعي واقتصادي صعب على أمل أن تكون لابنهم حياة جنسية طبيعية، ولم لا يرزق بطفل. الآباء واعون بأن هذا النوع من الزواج يمكن ألا يدوم، لكنهم يقولون إن ابنهم قد يظفر على الأقل بطفل، حينما سيكبر، سيكون بإمكانه أن يعتني بوالده. لسوء الحظ، وفيما يخص البنات في سن الزواج فإن أسر الرجال تكون حائرة بخصوص هذه الرغبة، وترفض بشكل قاطع هذه الزيجة. لهذا السبب فإن القليل من الفتيات يتزوجن، وإن حدث ذلك، فإنه في غالب الأمر ما يتم استغلالهن من طرف الزوج**»، تؤكد أمينة مسفر، رئيسة جمعية آباء وأصدقاء الأطفال المعاقين ذهنيا (هدف). ذلك حال حنان [8] التي بعد وفاة والدها قامت عائلتها من أجل ضمان مستقبلها بشراء شقة لها. لكن رجلا «معافى»، استغل هشاشة الشابة وأقنعها بالزواج. إذا ما كانت الأمور قد مرت في البداية بشكل جيد، فإنه سرعان ما فهمت الأسرة أن هذا الأخير لم يكن إلا طامعا في مالها.

6 دراسة أنجزت من طرف « Z Project» لصالح مكتب اليونسكو للمنطقة المغاربية، في إطار مشروع مدعوم بشراكة مع مبادرة الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص في وضعية إعاقة عنوانها: « Changer de regard et promouvoir l'approche basée sur les droits de l'homme dans la perception du handicap au Maroc » (2018 et 2021)

7 دراسة حول السكان في وضعية إعاقة في المغرب، المندوبية السامية للتخطيط، 2009

8 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

«**ليس للمرأة في وضعية إعاقة أي حقوق سواء بوصفها شخصا في وضعية إعاقة، ولا كامرأة. لا يتم اعتبارنا كائنات بشرية. بالنسبة إلى المجتمع فإنه ليس لنا الحق في الحب والزواج أو أن نرزق بأطفال... أصلا المجتمع لا يتعامل بطيبة مع النساء بشكل عام، فلكم أن تتخيلوا كيف سيتعامل مع امرأة في وضعية إعاقة**»[9] تضيف أسماء، البالغة 50 عاما، والتي تعيش في ظل إعاقة جسدية. «**لم يكن سهلا أن أرى كل صديقاتي (**«**السليمات**»**) وهن يتزوجن ويرزقن بأطفال. في تلك اللّحظات كنت أعي بوضعي كامرأة معاقة. حاولتْ أسرتي جاهدة أن تجعلني أعتقد أن ذلك بسببي. بالنسبة إليهم كنت عاجزة عن تأسيس عائلة وأن أعتني ببيتي. بالمقابل كنت مثالية لغسل الملابس والتنظيف والطبخ، والاعتناء ومرافقة أطفال أخواتي وقريباتي وجاراتي... لقد استغلّتني عائلتي وحرمتني من حقي في أن أكون زوجة وأما. لقد كانت لدي أحلام وآمال لكن لا أحد دعمني**»، تستمر في الحديث. مثل أسماء هناك نساء كثيرات اضطررن إلى التخلي عن أحلامهن بسبب العوائق العديدة التي تمسّ بشكل مباشر مشاركتهن في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعهن المحلي، وتقلص بشكل كبير من إمكانية أن يتمتّعن بحقوقهن الأساسية.

النساء في وضعية إعاقة هن أيضا أكثر عرضة لمختلف أشكال العنف. إذا ما كان أكثر من ثلث النساء عبر العالم يتعرضن للعنف الجسدي والمعنوي والجنسي من طرف شركائهن وأزواجهن، فإن النساء في وضعية إعاقة هنّ أكثر عرضة بعشر مرات للعنف الجنسي. أما النساء في وضعية إعاقة ذهنية فهن معرضات أكثر لهذه الظاهرة. «**لقد شكّلت مسألة العنف اتجاه النساء في وضعية إعاقة ذهنية دوما إحدى التابوهات الاجتماعية المسكوت عنها خاصة أن هؤلاء النساء والطفلات الصغيرات، لا يملكن صوتا للتعبير عن معاناتهن. إنهن المنسيّات بخصوص العنف ولا يتم تأسيس أي إطار يمد لهن يد العون. إلى حدّ اليوم، فإن أثر هذه العوامل المتشابكة ما بين الجندر (النوع) والإعاقة لم يتم التعامل معها، والعنف اتجاه النساء في وضعية إعاقة ما زال يظل متغافلا عنه. ومن هنا تظهر الحاجة إلى العمل على هذه المسألة والقيام بحملات واسعة لتحسيس الجمهور بالحق في السلامة الجسدية والعقلية لهؤلاء الأشخاص. ويجب على الجمعيات النسائية بدورها أن تقوم بالتعبئة من أجل دعم هؤلاء النساء**»، تكمل أمينة مسفر.

نحو إبراز المعاناة المضاعفة للنساء في وضعية إعاقة

رغم أن النساء في وضعية إعاقة يتعرّضن لتمييز مضاعف مقارنة بأقرانهن من الرجال، فإن مسألة الجندر (النوع) ليست حاضرة كثيرا في حركة حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة. «**من الصحيح أنه داخل الجمعيات هناك نقص في مقاربة النوع، كما أن المناصفة نادرا ما تكون حاضرة داخل المكاتب التنفيذية لهذه الجمعيات. هذا ناتج أساسا عن العقلية المغربية. ما زال هناك نوع من «الحكرة» اتجاه النساء، وأكثر من ذلك اتجاه المرأة في وضعية إعاقة. هذه الأخيرة تعاني من ذلك كثيرا، ويتسبب هذا في نتائج تنعكس على حياتها الاجتماعية والعاطفية والشخصية... ما يزيد من حدة تهميشها**»، يعترف إدير أوغندي.

9 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهاداتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

إذا ما كانت الحركة الحقوقية للأشخاص في وضعية إعاقة لا تطرح سؤال الجندر (النوع) إلا بشكل خجول، فإن غالبية جمعيات حقوق النساء، لا تُدمج في معاركها المقاربة التقاطعية، وتتغاضى بهذا عن وضع النساء في وضعية إعاقة. على العموم فإنها لا تعمل على حالات العنف اتجاه هؤلاء النساء إلاّ حينما ينتشر خبر إحداها في وسائل الإعلام. حتى فيما يخص حالات الاعتداءات، فإن مراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف عادة ما توجههن نحو جمعيات للأشخاص في وضعية إعاقة، ولو كان نوع المساعدة التي هنّ بحاجة إليها لا يقدم من طرف هذه البنيات. «**على الرغم من ذلك، قبل أن نكون نساء في وضعية إعاقة، فنحن قبل كل شيء، نساء ومواطنات بشكل كامل. لكن كما لو أن الإعاقة تلغي هويتنا كنساء**»، تعبّر الكاتبة العامة للمنتدى المغربي لمناصرة حقوق النساء ذوات الإعاقة، سميرة بختي عن امتعاضها.

اليوم، ترتفع أكثر فأكثر أصوات، خاصة من الحركة النسوية من أجل التنديد بأشكال التمييز التقاطعية التي تتعرض لها النساء في وضعية إعاقة. وهو ما يخص على سبيل المثال جمعية «هدف» التي تنتمي إلى الجمعيات التي أدمجت منذ البداية مقاربة النوع والمقاربة التقاطعية في عملها. في عام 2015 كانت أول جمعية في المغرب تطلق حواراً حول العنف اتجاه النساء في وضعية إعاقة ذهنية وتتطرق بشكل دائم إلى الموضوع، ولكن تتحدث أيضا عن الموضوع مع الشابات المستفيدات ومع عائلاتهن.

داخل الحركة الحقوقية لذوي الاحتياجات الخاصة، فإن النساء في وضعية إعاقة قرّرن الرفع من عقيرتهن لإسماع أصواتهن، والتأكيد على حقوقهن. أصبحن يفرضن أنفسهن أكثر فأكثر، وبعض الجمعيات اتخذت الخطوة. هذا هو الحال لا سيما لدى جمعية «الحمامة البيضاء» التي لجأت إلى المقاربة التقاطعية من أجل أن تتبنى مقاربة أكثر إدماجا. هكذا ومنذ عام 2017 أدمجت الجمعية في محاورها الاستراتيجية مقاربة النوع وسجلت المناصفة في قانونها الأساسي والداخلي. هناك مبادرات أيضا تقوم بها مع النساء في وضعية إعاقة. «**بالنسبة إلينا فإنه من الضروري أن يكون الجنسان، وكل أنواع الإعاقة ممثلة داخل المكتب التنفيذي. أخذ منا هذا بعض الوقت بطبيعة الحال، لأنه كان يجب في البداية أن نعمل على القوانين والنصوص القانونية. آن الأوان للنساء في وضعية إعاقة أن يلتحقن بالساحة. لكن للأسف فإنه من المبكر القول بأننا فزنا بالمعركة. فالعقلية الأبوية ما تزال حاضرة بشكل كبير داخل الحركة الجمعوية**»، تؤكد كريمة الحداد.

أيضا، قررت كل من كريمة وسميرة ونساء أخريات في عام 2020، أن يؤسّسن المنتدى المغربي لمناصرة حقوق النساء ذوات الإعاقة. الهدف منه: هو تحسين المعرفة بخصوص الوضعيات التي تعيشها النساء في وضعية إعاقة، والقيام بالمرافعة من أجل حقوق هؤلاء النساء، ولكن أيضا تغيير نظرة المجتمع اتجاههن، وأخيرا توعية النساء والأمهات بحقوقهن وتذكيرهن أنهن قبل أن يكنّ نساءً في وضعية إعاقة، أو أمهات أطفال في وضعية إعاقة، فإنهنّ نساءٌ ومواطناتٌ بشكل كامل. «**لقد أدمجنا في معركتنا أمهات الأطفال في وضعية إعاقة لأنهن يتعرضن بدورهن للعديد من حالات التمييز. بشكل عام، فإنهن يقمن لوحدهن بالعناية بأطفالهن. لقد لاحظنا أن الكثير منهن مطلقاتٌ أو يعشن بعيدا عن أزواجهن، وأنه في غالبية الحالات فإن الأب كان يرفض أن يدفع المصاريف حين يكون له ابن(ة) في وضعية إعاقة، سواء في ما يتعلق بالمدرسة، أو أخصائي تعليم النطق، أو مساعد(ة) الحياة، الترويض الطبي...)، ولهذا فإن الأم هي التي تتحمل مسؤولية الطفل. هذا يتعلق بالنساء في وضعية هشاشة اللواتي ينحدرن من عائلات فقيرة، وأيضا بالنسبة للنساء اللواتي ينتمين إلى طبقات ميسورة. دورنا هو**

توجيههن وأن نشرح لهن حقوقهن والإجراءات التي يمكنهن اتباعها في حال كانت هناك مشاكل ذات طبيعة قانونية أو انتهاكات»، توضح سميرة بختي.

قدّم المنتدى منذ تأسيسه تقارير وتوصيات إلى مختلف الهيئات الحكومية من أجل أن يتم الأخذ بعين الاعتبار لحقوق النساء في وضعية إعاقة في يتعلق بتطوير القوانين والسياسات العامة. كما أن لقاءات تنعقد بشكل دوري مع الأحزاب السياسية والمنتخبين والنواب البرلمانيين من أجل تحسيسهم بهذه المسألة. كما تُنْجز مجموعة من الأبحاث بشراكة مع جامعيين وباحثين لينشر عدد أكبر من الدراسات المتعلقة بالإعاقة والمرأة. وهناك عمل يتم إنجازه لدى وسائل الإعلام التي تعتبر القنوات الأساسية لترسيخ الوصم الذي يتعرض له الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة في المغرب. «**تتعرض النساء في وضعية إعاقة إلى الوصم دوما. يكفي أن نشاهد كيف يتم تقديمهن في وسائل الإعلام. يقوم بالناس بالتعامل معنا كأننا أطفال ولا يفهمون أننا نرغب في تأكيد استقلاليتنا الذاتية وتمكيننا، وأن نطالب بحقوقنا. كل ما نرغب فيه هو أن يتم الاستماع إلى أصواتنا وأن تأخذ خبرتنا وتجاربنا بعين الاعتبار من أجل تحسين وضعية الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة**»، تسطّر سميرة بختي.

يعمل المنتدى حاليا على تحرير مذكرة متعلقة بمدونة الأسرة من أجل أن تأخذ بعين الاعتبار حقوق النساء في وضعية إعاقة وأيضا أمهات الأطفال في وضعية الإعاقة خلال إصلاح هذا القانون. «**إنه أمر واقع، الإعاقة أمر ثقيل ماديا والأمهات هن في الغالب من يتكفل ماديا بطفلهن. غير أنه اليوم، أمام المحكمة في حالة الطلاق، لا يتم أخذ إعاقة الطفل والمصاريف المترتبة عنها بعين الاعتبار من أجل تحديد النفقة، وهو أمر غير مقبول حين نعلم أن الطفل بحاجة لعناية ملائمة بشكل مستمر**»، تشرح سميرة بختي.

اليوم ،تدعو النساء في وضعية إعاقة وأمهات الأطفال في وضعية إعاقة إلى إرساء «ثقافة الإعاقة التي تتضمن مقاربة النوع». لأنه في واقع الأمر، من دون تحالف الحركات الحقوقية لكل من الأشخاص في وضعية إعاقة، وحقوق النساء فإن المجتمع والدولة بنفسها لن يعترفا بأشكال التمييز والعنف التي تتعرض لها النساء، وستستمر نظرة «الشفقة» بدل نظرة الحقوق، وستظل حماية النساء في وضعية إعاقة دوما متوقفة، فيما الإدماج الاجتماعي لهؤلاء الأشخاص، سيظل حلما بعيد المنال.

5

مـن خريبكـة إلى الخرطـوم، مصـــير متقاطـــع لشـــباب مهاجـــر

عـبر تقنيـات الربورتـاج والـسرد يحـاول هـذا المقـال أن يظهـر التشـابكات الموجـودة مـا بـين الهويـات الاجتماعيـة للشـباب الأفارقـة المغاربـة والمنحدريـن مـن إفريقيـا السـوداء الذيـن تقاربهـم رحـلات الهجـرة التـي يحاولـون خوضهـا.

هـؤلاء الشـباب الأفارقـة يتعرضـون إلى مظاهـر تمييـز بنيـوي سـواء مشـتركة أو مختلفـة تُبلـور في آخـر المطـاف مصائـر متقاطعـة حينـا، ومتباعـدة حينـا آخـر. التفاصيـل.

بقلم صلاح الدين المعيزي

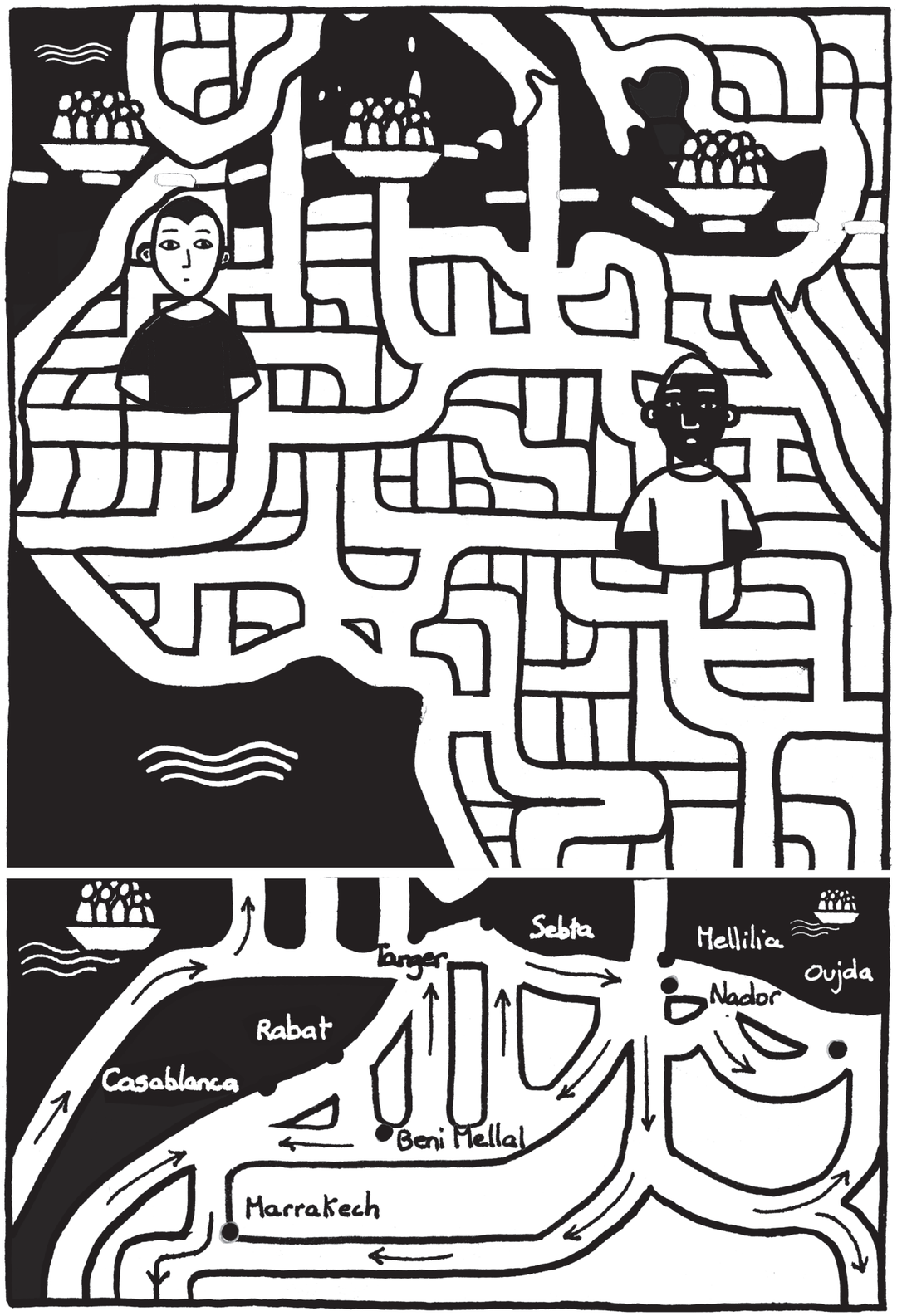

للفنانة زينب بنجلون

أيمن ومحمد [10] هما شابّان إفريقيان، الأول ينحدر من مدينة خريبكة في المغرب (150 كيلومترا عن الرباط) والثاني ينحدر من مدينة تيندلي (على بعد 285 كيلومترا عن الخرطوم). هذان الشابان يقتسمان نفس «التروما» (الصدمة النفسية) التي تخلفها الهجرة. فقد عاشا الجحيم الليبي والانتهاكات المنهجية لحقوقهما طيلة رحلة الهجرة. هذان الشابان العاطلان عن العمل، واللذان يبلغان 22 و23 عاما، يبلوران عبر تجاربهما، غياب الأفق لدى الشباب الإفريقي، الذي يهرب من بلاده، ولو كان ذلك بتعريض حياته للخطر. تجارب هذين الناجيين تتميز بعنف شنيع، أنتجته السياسات الأوروبية في تدبيرها للحدود، والتي تنتشر من المغرب إلى السودان مروراً بدول المغربي الكبير، وبشكل خاص ليبيا. طيلة حكاياتهما المؤلمة، يسرد أيمن ومحمد الإقصاء الذي تعرضا له في بلد الانطلاق ومظاهر التمييز الذي تعرضا لها على طريق المنفى ومرارة الفشل أمام الحدود التي تتحول إلى نجوم حمراء دموية. هذا المصير المتقاطع لكل من أيمن ومحمد يحاول «أن يكشف ويفكك أنواع التمييز المتعددة والمتقاطعة»[11] التي يتعرض لها الأشخاص في وضعية هجرة. أشكال من التمييز تنتمي إلى قمع منهجي، هو محرك نظام الهجرة المفروضة والممولة من طرف الاتحاد الأوروبي، والتي تقوم به وكالاتها (فرونتكس[12]، و ICMPD[13] خصوصا) ودول من الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، ومن ضمنها المغرب وليبيا وتركيا.

يحاول هذا المقال وعبر تقنيات الربورتاج والسرد أن يظهر التشابك بين الهويات الاجتماعية للشباب الأفارقة في اتصال مع منظومة القمع هذه. يحاول الخطاب الرسمي في المغرب أن يقلل ويخفي الموجة الحالية من الهجرة غير النظامية للمغاربة، الملاحظة منذ عام 2018. على النقيض فإن الخطاب حول هذا النوع من الهجرة المحفوفة بالمخاطر يظل مقتصرا على المهاجرين من جنوب الصحراء واليوم السودانيين.[14] غير أن الوقائع الميدانية والأرقام تظهر أن الظاهرة تمس بقوة الشباب المغاربة وأحيانا بأفواج أكبر من الأجانب العابرين عبر المغرب[15]. كنموذج على ذلك فإنه في عام 2021، وصل إلى إسبانيا 41 ألف و979 مهاجرا. من ضمنهم وصل 23 ألفا و24 شخصا إلى جزر الكناري.[16] البلدان الخمسة الأساسية للمهاجرين كانت هي الجزائر والمغرب ومالي وغينيا وكوت ديفوار. الغالبية العظمى من الوافدين وصلوا عبر القوارب (98 في المئة). ينضاف إلى هذا 23 ألف مهاجر ثم إيقافهم من طرف

10 تم تغيير أسماء المشاركين في التحقيق لأنهم طلبوا عدم الكشف عن هويتهم

11 Teresa Cappiali et Maha Tazi, Les défis et Les promesses de l'intersectionnalité au Maroc, Fondation Heinrich Böll Rabat - Maroc (HBS Rabat), 2021, p.7.

12 الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل، لمعلومات أكثر الاطلاع على:
Frontex, une agence européenne hors de contrôle, Note Migreurop #3 - 3e édition, décembre 2021, https://migreurop.org/article3075.html (consultée le 01/09/22)

13 المركز الدولي لتطوير سياسات الهجرة، لمعلومات أكثر الاطلاع على :
(Decrypting ICMPD, FTDS, 2021 https://ftdes.net/en/decrypting-icmpd/ (consultée le 01/09/22

14 من نماذج عملية الإخفاء هذه قصاصة لوكالة المغرب العربي للأنباء تتحدث فقط عن عملية إنقاذ لمهاجرين من إفريقيا جنوب الصحراء. يمكن الاطلاع على:
La Marine Royale porte secours à 743 migrants irréguliers de différentes nationalité, 30/08/22 https://www.mapexpress.ma/actualite/societe-et-regions/marine-royale-porte-secours-743-migrants-irreguliers-differentes-nationalites/ (consultée le 01/09/22)

15 أرقام الحكومة الإسبانية

16 Sea and land arrivals from January 2016 to 2022, HCR Espagne

سلطات البلدين أو خلال عمليات لفرونتكس[17]. يعتبر المغاربة الجنسية الأولى ضمن المرشحين للهجرة الوافدين إلى إسبانيا، وهم يشكلون 56 في المئة منهم، وبحسب أرقام فرونتكس فإنهم أيضا الأوائل ضمن المهاجرين الذين يتم توقيفهم في طرق المحيط الأطلسي والبحر المتوسط (13 ألف مهاجر)، يتبعهم في ذلك المهاجرون من دول إفريقيا جنوب الصحراء (12600) والجزائريون (11500).

إلى جانب هذه السيرورة من الإخفاء، نقدم مقاربة تقاطعية تهدف إلى تقديم المصائر المتقاطعة لهذه الشبيبة الإفريقية، سواء أكانت مغاربية أو منحدرة من إفريقيا السوداء، مع الأخذ بعين الاعتبار للنقاط المختلفة للواقع المعيش لهذين النوعين من السكان، خاصة العنصرية وكراهية الأجانب التي يتعرضون إليها في بلدان العبور والاستقبال، والتي يتعرض لها المهاجرون من سود البشرة.

بورتريهات متقاطعة

أيمن هو ناج. طيلة سبعة أشهر عاش ابن خريبكة كل أشكال المتاعب. عبور ثلاثة حدود (المغربية، الجزائرية، الليبية)، والاختطاف من طرف الميليشيات المسلحة في ليبيا، والسجن في جحيم معتقلات المهاجرين، والهروب المذهل من سجن غوط الشعال في طرابلس[18]، ومحاولة فاشلة للهجرة نحو إيطاليا أوقفها إطلاق نار من طرف ميلشيات تعمل لصالح الاتحاد الأوروبي، ثم العودة براً من ليبيا إلى المغرب.

في حيّه هم عدة شباب عاشوا نفس التجربة. «**لقد استلفت عائلتي *85* ألف درهم من أجل أن تدفع لي مقابل هذه الرحلة وتتمكن من تحريري في عدة مرات. لقد فقدت كل شيء. لكن الحمد لله أنني على قيد الحياة**»، يواسي نفسه. أصدقاء آخرون له فقدوا حياتهم أمام عينيه. «**لقد رأيت مغاربة من بني ملال يموتون جوعا. آخرون جنّوا في السجون الليبية**»، يقدم شهادته.

قبل رحيله لم يكن هذا الشاب واعيا تماما بالمخاطر التي كان سيخوضها في الطريق إلى ليبيا. «**مثل الكثير من شباب المنطقة، أخذت هذه الطريق على أمل أن أغير حياتي**»، كان يأمل. مثل كثيرين من المنطقة، ممن يوجدون في وضع شبيه بوضعه، يتساءل: «**لماذا نحن شباب خريبكة، المدينة الأغنى في المغرب، مجبرون على المخاطرة بحياتنا للذهاب إلى خارج البلاد؟**». هذه المدينة تحتضن مناجم الفوسفاط، وهي أهم ثروة منجمية للمغرب.

محمد شاي سوداني، قام بمسار معاكس لأيمن. عبر إفريقيا الشمالية من الشرق نحو الغرب للوصول إلى المغرب. غادر هذا الشاب تندلتي، مدينته الأصلية في السودان، في أكتوبر 2020. «**اتجهت نحو تشاد ثم ليبيا**». «**تم إيقافنا وتم التعامل معنا مثل العبيد**»، يقدم شهادته. بعد هذه التجربة الأولى المؤلمة، عبر الطريق نحو المغرب. «**وصلت إلى المغرب في غشت/أغسطس *2021***»، يتذكر الشاب. لكن لماذا اختيار المغرب، البلد الواقع في أقصى غرب القارة بدل العبور من ليبيا؟ «**قيل لنا إن المغرب بوسعه أن يقدم لنا استقبالا جيدا لمدة، قبل أن نستطيع**

17 Risk Analysis for 2021, L'Agence européenne de garde-frontières et de garde-côtes (FRONTEX) (2021).

18 يمكن الاطلاع على:
ENASS & Ocean OutLaws, Entre bourreaux et complices : Quand l'UE finance des prisons pour migrants, 02/02/22, https://enass.ma/2022/02/02/entre-bourreaux-et-complices-quand-lue-finance-des-prisons-pour-migrants/ (consultée le 01/09/22

الالتحاق بأوروبا، وهي وجهتنا الأصلية»، يستمر في الحديث. وصل محمد إلى الجزائر واستقر في تلمسان «ليومين فقط». ثم عبَر الحدود الجزائرية، ليس عبر مغنية، ولكن عبر نقطة عبور توجد في الجنوب قرب فكيك، مع مجموعة من أربعة أشخاص. «**نحن محظوظون لأننا لم ندفع أي شيء لدخول المغرب**»، يؤكد لنا. مباشرة التحق في وجدة بالمجموعات الأولى من السودانيين ومن جنوب السودان، الذين بدأوا في الوصول إلى المغرب عبر الحدود الشرقية للبلاد [19]. في الرابع والعشرين من يونيو 2022 انقلبت حياته رأسا على عقب، حين حاول بمعية 1200 مهاجر ولاجئ العبور نحو مدينة مليلية المحتلة انطلاقا من الناظور (على بعد 512 كيلومترا شرق الرباط). يتذكر محمد هذا اليوم بالكثير من مشاعر الحزن. «**كانت الحوادث مريعة. لقد أطلقت علينا عبوات تفريق المتظاهرين، والغاز المسيل للدموع، والرصاص المطاطي. لقد كنا عالقين ولم نكن نعرف من يصوّب علينا. كان ذلك هائلا. سقط العديد من القتلى في تلك اللحظة. لقد رأيت مهاجرا فقد حياته أمام عيني.**»

لم ينته الكابوس الذي عاشه. «**على السياج الحديدي اختنق العديد منا بسبب الاستعمال المفرط للغاز المسيل للدموع. آخر شيء أتذكره، هو أن أحد عناصر الأمن المغربي أطلق النار على ساقي. تعرضت لضربات بالهراوات على وجهي، وأحدهم ركلني بحذائه. ثم أغمي علي**». استيقظ محمد في مستشفى الحسني في الناظور. كان جانبه الجسد الهامد لمهاجر آخر ميت بسبب جراحه. تم إبعاد محمد بالقوة إلى مدينة شيشاوة (على بعد 382 كيلومترا جنوب الرباط)، مهاجرون آخرون تم ترحيلهم إلى بني ملال أو قلعة سراغنة، على الرغم من إصاباتهم. بعد بضعة أيام من هذه المأساة، وصف محمد، الناجي، نفسه بأنه «**رجل محظوظ لأنه ما زال على قيد الحياة**». أدت هذه المأساة إلى مقتل 23 شخصا بحسب السلطات و37 بحسب المنظمات غير الحكومية الوطنية والدولية، كما أن العشرات من المهاجرين ما زالوا في عداد المفقودين بحسب تقرير لفرع المنظمة المغربية لحقوق الإنسان في الناظور[20].

الشباب الإفريقي، هاجس أوروبي

هؤلاء السودانيون يتحدرون من بلد يضم احتياطيا هاما من البترول. السودان ودولة جنوب السودان تملكان 6.7 مليار برميل، أي ما يعادل 0.5 من الاحتياطيات العالمية[21]. رغم الثروات الباطنية، فإن شباب هذين البلدين يجدون أنفسهم مضطرين لمغادرة البلاد في هذه الشروط. إلى هذا ينضاف عدم الاستقرار والقمع السياسي منذ الانقلاب العسكري في السودان. وضع يساهم في هذه الحملة من التنقل القسري. في تقرير المفوضية الأممية السامية لحقوق الإنسان حول التنقل القسري، تقدم هذه الملاحظة: « **في السودان نحو نصف مليون شخص رُحِّلوا حديثا داخل البلاد بسبب العنف الطائفي الذي يحدث والعنف الذي أعقب الانقلاب العسكري في أكتوبر *2021*.**»[22]

19 بحسب بيان لجمعية مساعدة المهاجرين في وضعية هشاشة، وجدة، 21/08/2021

20 يمكن الاطلاع علي التقرير على الرابط:
ENASS, L'AMDH : « 64 réfugiés sont portés disparus à Nador-Melilla », https://enass.ma/2022/07/21/amdh-64-migrants-sont-portes-disparus-a-nador-melilla/ (consultée 01/09/22)

21 Stora-Calté, C. (2013). Pétrole dans les deux Soudan. Production, répartition et exploitation des champs pétroliers. Afrique contemporaine, 246, 119-120. https://doi.org/10.3917/afco.246.0119

22 UNHCR, Tendances mondiales : Déplacement forcé en 2021, p.6, Edition 2022

بالنسبة إلى «الحراقة» الشباب المغاربة، المنحدرين من الهضبة الفوسفاطية، فإن هذه الأخيرة تمثل تناقض التنمية **أو «سوء التنمية»**. فالمنطقة تملك الأراضي الأكثر غنى في البلاد، باعتبارها تضم الثروات المنجمية الأساسية للمغرب، وهي أول مصدّر للمهاجرين غير النظاميين. إذا ما كان الوضع الاجتماعي الاقتصادي لهؤلاء، مع نسبة بطالة مرتفعة (تعادل 31,8 في المئة لدى الفئة ما بين 15 و24 عاما، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف المستوى الوطني)، فإن هذا التفسير الأولي لهذه الظاهرة المستمرة منذ زمن، يظل غير كاف.

في المنطقة، فإن «ثقافة الهجرة» أضحت متجذرة في هذا الجزء من البلاد، منذ سنوات السبعينيات. وقد شهدت تسارعا في سنوات الثمانينيات. «**تسارعت هذه الهجرة ذات الطابع السري فيما كانت غالبية الدولة الأوروبية تتخذ سياسات متشددة تقلص من دخول اليد العاملة الأجنبية. لم تتخذ إيطاليا التي كانت دوما مأوى للهجرة، إجراءات شبيهة إلا بعد سنة *1990*. في الواقع فإنه إلى حدود *15* أبريل من هذه السنة، لم تكن هناك حاجة لتأشيرة سفر (فيزا) لدخول البلاد**»، يذكر الباحث مصطفى خروفي.[23] في عام 2010 كان مغاربة إيطاليا يمثلون جالية تتكون من 150 ألف مهاجر[24].

المسارات الوعرة لهذه الشابين، محمد وأيمن، يمكن أن تلخص مظاهر العنف المنهجي الذي يمارس على الحدود الأوروبية وبشكل عام في البلدان، سواء أكانت دول الشمال أو حتى الجنوب. تمثل هذه الشبيبة الإفريقية المهاجرة فرصة للقارة، لكن ينظر إليها على أنها خطر بالنسبة إلى أوروبا. مختلف المنظمات الدولية والممولين يضاعفون المبادرات من أجل محاصرة هؤلاء المهاجرين المحتملين.

أطلقت المنظمة الدولية للهجرة (OIM) استراتيجية خاصة أطلقت عليها «**استراتيجية *(OIM)* للشباب، من أجل العمل والهجرة في إفريقيا الغربية والوسطى**[25]، يمكن أن نقرأ فيها: «**للنمو الديمغرافي في إفريقيا، أثر على مسارات الهجرات على المستوى الإقليمي والوطني. اليوم، بلغ السكان الشباب *(ما بين 15 و24 عاما)* في إفريقيا مستوى ليس له مثيل. بحسب التقديرات فإنه سيتضاعف في حدود عام *2050* لينتقل من *231* مليون إلى *461* مليون شاب، مع نمو ديمغرافي مرتفع مقارنة بالصين والهند**»، تعبر المنظمة الدولية عن قلقها. مثل العديد من التقارير الدولية عن موضوع الشباب، فإن اللغة المستعملة تدق ناقوس الخطر: «**يشكل العدد المتزايد للعاطلين عن العمل تهديدا محتملا للسلام والأمن في غرب إفريقيا والوسطى**». الحديث عن موضوع الهجرة الإفريقية، وخاصة شباب القارة، هو في غالب الأحيان موضوع لإطلاق سيناريوهات كارثية، يتم إنتاجها داخل القارة بنفسها[26].

23 Kharoufi, M. 2004. Effets de l'émigration vers l'Italie des Beni Meskine (Maroc occidental). In Planel, A. (Ed.), *Maghreb, dimensions de la complexité : Études choisies de l'IRMC (1992-2003).* **Institut de recherche sur le Maghreb contemporain. doi :10.4000/books.irmc.1589 (consultée le 26/10/2022**

24 Cartographie des flux migratoires des Marocains en Italie, OIM, 2010 https://www.iom.int/sites/g/files/tmzbdl486/files/country/docs/morocco/Cartographie_des_flux_migratoires_des_Marocains_en_Italie.pdf **(consultée 26/10/2022**

25 L'Organisation internationale pour les migrations (OIM), Stratégie pour la jeunesse, l'emploi et la migration en Afrique de l'Ouest et du Centre, OIM Sénégal, 2018. https://rodakar.iom.int/sites/g/files/tmzbdl696/files/lhd-strategy-fr.pdf (Consultée 01/09/22).

26 L'Institut royal des études stratégiques (IRES), La migration africaine, 2018. pp.50-54

«إن الهجرة هي في غالب الأحيان نتيجة لعدم القدرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلدان الأصلية في الاستجابة لتطلعات الشعوب التي ترى نفسها مجبرة على البحث عن بدائل أخرى»، تذكر حنان السرغيني، الأستاذة الباحثة في جامعة مولاي إسماعيل في مكناس. حسن عماري، عضو «**جمعية مساعدة المهاجرين في وضعية صعبة**» التي ترافق عائلات المهاجرين المفقودين من أصول مغربية أو أجنبية، يقلّل من الوضعية الاقتصادية كسبب: «**تواصلت معنا الكثير من العائلات التي لم تكن فقيرة، لكن أبناءها اختاروا الرحيل إلى أوروبا ليجدوا مشروعا لحياتهم. لكن بطبيعة الحال فإن غالبية العائلات هي فقيرة. وتحصل على قروض في غالبية الأحيان من أجل أن تدفع ثمن رحلة أبنائها**».

تخلق هذه الوضعية على الميدان المغربي للمنفى تحالفا ما بين المهمشين سواء أكانوا مغاربة أم أجانب. هذا الاتحاد يتحقق على الأقل في ثلاث لحظات: على طرقات الهجرة بما تحمله من مآس وخسائر بشرية، التضامن خلال رحلات العبور، وتشاطر المصير نفسه خلال الترحيل التعسفي خاصة فيما يتعلق بالقاصرين غير المرافقين، المغاربة أو الأجانب الذين يوجدون في المناطق الحدودية».

في مسارات الهجرة الوعرة هذه للمهاجرين المغاربة والأجانب داخل المغرب، يمكن ملاحظة عدة تقاطعات. طرق الهجرة أصبحت أكثر فأكثر صعوبة وخطرا، مثل طريق أيمن الذي انطلق من مدينته خريبكة إلى ليبيا أو طريق محمد الذي اتخذ طريقا عكسية نقلته من مدينته تندلتي للوصول إلى ليبيا، ثم ليكمل طريقه نحو المغرب. هذه الشبيبة المهاجرة تنتقل وتتقاطع طرقها في فضاء إفريقيا الشمالية التي تسيّجها السياسات الأوروبية التي تريد أن تجعل حدودها أبعد من حدودها الماديّة. على المستوى «الماكرو»، من المفيد الإشارة إلى أن المغرب مثل السودان، هما شريكان «موثوقان» للاتحاد الأوروبي عبر الإجراءات الأمنية المتشددة لكل من الرباط[27] والخرطوم[28] التي يقودها ويمولها الاتحاد الأوروبي. انطلاقا من هذا البعد «الماكرو»، فإن أيمن ومحمد ينتميان إلى العديد من الضحايا لهذه الخيارات السياسية، فيما يخص الهجرة. عبر قصصهما يتم التعبير عن تقاطعات هي في الآن ذاته مختارة ومفروضة.

تحالف المهمشين

تقاسم «الطرقات»

يتشاطر «الحراقة» المغاربة والأجانب طرقات الهجرة. «**طريق الهجرة التي تمثل المنطقة الحدودية المغربية الإسبانية قديمة. في الأول كانت طريقا لهجرة المغاربة، ثم أصبحت لاحقا طريق للهجرة والمنفى للأشخاص القادمين من كل إفريقيا، ولكن أيضا من آسيا ومن الشرق الأوسط. مع تنويعات هامة، على حسب المراحل**»، تحلل حنان السرغيني، من جامعة مولاي إسماعيل.

27 Le Dialogue euro-africain sur la migration et le développement (Processus de Rabat), https://www.rabat-process.org/fr/

28 Initiative sur la route migratoire UE-Corne de l'Afrique (Processus de Khartoum) https://www.khartoumprocess.net/

حاليا فإن عمليات الرحيل تتم انطلاقا من السواحل الأطلسية في الصحراء، من أجل الهروب من المراقبة المعزّزة للمتوسطي. «**هذه الهجرة السرية هي نتيجة لتعزيز آلية مراقبة حدود دول الوجهة، ما يدفع المهاجرين إلى تنويع أشكال محاولات العبور**»، تلاحظ السرغيني. في الواقع، فإنه خلال السنوات الثلاث الأخيرة، طبع رحلات العبور حضور منحدرين من دول جنوب الصحراء، ولكن أيضا مغاربة. إنها الملاحظة، التي يقوم بها حسان عماري، من جمعية دعم المهاجرين في وضعية صعبة: «**في *7* شتنبر/سبتمبر الأخير، وصل مركب إلى لانزاروتي في جزر الكناري قادما من السواحل المغربية. كان يضم *12* شخصا من جنوب الصحراء و*5* مغاربة. هذا الوضع أصبح أمرا معتادا**». هذه الطريق الأطلسية، المميتة والمكلفة، أدت إلى مقتل كثيرين، ضمنهم مغاربة ومن دول جنوب الصحراء.

كانت طريق الهجرة الأطلسية الأكثر دموية في العالم بالنسبة للأشخاص المهاجرين عام 2021. أحصي 4400 ضحية من المهاجرين على الطرقات للعبور إلى إسبانيا وهم من المغرب والجزائر والسنغال وغامبيا. هذا الرقم ارتفع بنسبة 103 في المئة خلال سنة واحدة! 95 في المئة من جثث الضحايا لم يتم العثور عليها. 83 قاربا اختفت مع كل الأشخاص الذين تحملهم على متنها. 628 امرأة هن من الضحايا الذين غرقوا في البحر، وأيضا 205 طفلا. ينحدر الضحايا من 21 دولة إفريقية ومن آسيا[29]. البلدان الأساسية التي ينتمي إليها الضحايا هي المغرب وموريتانيا والسنغال وغينيا كوناكري. بسبب غياب النجدة في البحر، وعمليات الإنقاذ السريعة والفعالة، فنحن أمام «**سياسات مميتة للهجرة**»، كما تذكر ذلك الجمعية الإسبانية «كامينانـدو فرونتيراس»[30].

على خلاف ذلك، فإن بعض الطرقات مخصصة حصريا للمغاربة أو للمنحدرين من جنوب الصحراء. أمّا تجاوز حواجز كل من سبتة ومليلية فيظل طريقة عبور حكرا على المهاجرين من إفريقيا الغربية والوسطى وشرق إفريقيا. إنها «هجرة الفقراء»، لأنها مجانية ولا تحتاج إلى المهرّبين. يجرب المهاجرون القاصرون غير المرافقين من المغاربة حظهم، وسط المهاجرين الأكثر هشاشة، ويجربون حظهم مغامرين بحياتهم من أجل بلوغ البوابة الشمالية للمغرب من أجل الوصول إلى أوروبا.

«حشود» و«متضامنون»

أظهرت أحداث سبتة في ماي 2021 حجم الأفكار النمطية حول الهجرة. في هذه اللحظة من التوتر الدبلوماسي بين المغرب وإسبانيا، لم يتردد «**المراقبون**» المكلفون بنشر رؤية الدولة عبر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي من عكس فكرة «**خطر غزو (مواطني) جنوب الصحراء إذا ما تراخى المغرب في ما يخص مراقبة الحدود**»[31]. كما تحذر أيضا من «**جحافل المهاجرين الذي يستعدون لغزو سبتة**». على الميدان فإن 18 ألف مهاجر عبروا

29 Droit à la vie, rapport 2021, Caminando Fronteras, Espagne, 2022 https://caminandofronteras.org/fr/etiqueta/droit-a-la-vie/ (consultée le 26/10/2022)

30 Droit à la vie, rapport 2021, Caminando Fronteras, Espagne, 2022. https://caminandofronteras.org/fr/etiqueta/droit-a-la-vie/ (consultée le 01/09/22)

31 كما يعلن المسؤولون الرسميون المغاربة في تصريحات علنية أو دون ذكر أسمائهم. زهير الشرقي، الكاتب العام لوزارة المالية أقدم على هذه التصريحات خلال لقاء أكاديمي أقيم في الرباط عام 2019 ونظمته جمعية المؤسسة الدولية للمالية العمومية.

في اتجاه سبتة والغالبية العظمى منهم كانت تتكون من مغاربة. اختيار مكّن السلطات المغربية في اليوم نفسه من ترحيل جميع مواطنيها ما عدا القاصرين غير المرافقين. لم يكن الغزو إلا أسطورة، ولم تكن الجحافل توجد. وحدهم أناس يحاولون الهجرة ويبحثون عن مستقبل أفضل، هم الذين يوجدون.

ترحيل «غير المرغوب فيهم»

يشترك المهاجرون من جنوب الصحراء، والذين يوجدون في مناطق حدودية في شمال وشرق المغرب المصير نفسه مع المهاجرين غير المرافقين. فهم يتعرضون بالطريقة نفسها إلى الترحيل القسري من الناظور وتطوان وطنجة إلى مدن وسط المغرب. هذا الإبعاد لا يقيم فرقا فيما يخص العرق أو الجنسيات. القاسم المشترك بين هؤلاء المرحّلين بالقوة هو حقا وضعهم كأشخاص مهاجرين وهامشيتهم. القاصرون غير المرافقين المغاربة، مع المهاجرين من دول جنوب الصحراء يتم ترحيلهم في الغالب إلى المحطة الطرقية ولاد زيان في الدار البيضاء. أما المهاجرون الأجانب فيتم ترحيلهم إلى مدن وسط المغرب بعيدا عن الشريط الساحلي. هذه المدن بدورها مهمشة. تتم عمليات الترحيل القسري نحو مدن هضبة الفوسفاط من قبيل (خريبكة والفقيه بن صالح وبني ملال) أو مدن إقليمي الرحامنة وشيشاوة.

المهاجرون «الطيبون» و«الأشرار»

الأحداث الأخيرة التي تعود إلى 24 من يونيو 2022 أدت إلى تمييز في حق اللاجئين السودانيين. استطاعت الدولة عبر وسائل إعلامها وصناع رأيها، أن ترسم هؤلاء اللاجئين السودانيين بمثابة «**المجرمين الذين يشكلون عصابات إجرامية للاتجار بالبشر**»، و«**أنهم يستعملون تقنيات عنيفة**» خلال محاولتهم للهجرة. تمت شيطنة السودانيين، فيما أن المهاجرين من جنسيات أخرى (غرب إفريقيا وإفريقيا الوسطى) يقدمون على أنهم «**مسالمون**» مقارنة بمجموعات 24 يونيو 2022. في تقريره عن مأساة الناظور، قال المجلس الوطني لحقوق الإنسان إن «**المواجهات التي تشكل عملا غير مسبوق على مستوى محاولات اجتياز السياج الفاصل بين الناظور ومليلية، وتميزت بعنف شديد**[32]**، نفذ بالتوازي من طرف عدد كبير من المهاجرين (يقدر عددهم بنحو *2000* شخص)، مسلحين بالعصي والحجارة والأسلحة البيضاء**»[33].

تريد هذه السردية أن تقسم المهاجرين إلى فئتين الأولى «طيبة» والثانية «شريرة»، لكن تم تناسي أن المهاجرين السود البشرة يعانون منذ عام 2005 عنفا منهجيا من طرف السلطات العمومية على هذا الجانب من الحدود،

32 استعمال عبارات «غير مسبوق» و«شديد» توحي بأن السودانيين هم مصدر أعمال العنف في 24 يونيو وأنهم بوصولهم إلى هذه الطريق جلبوا معهم طرقا عنيفة. غير أن كل مراقب للمناطق الحدودية في سبتة ومليلية يعلم أنها فضاء عنف حاد منذ عام 2002 كما تشهد على ذلك الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان الملاحظة عام 2005 و2013 و2014، ويظل أبرز الضحايا لأعمال العنف هذه هم المهاجرون. (يمكن الاطلاع على تقارير الجمعية المغربية لحقوق الإنسان (فرع الناظور) منظمة «GADEM"، ومنظمات Migreurop و Alarm Phoneوالفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، وهيومن رايتس ووتش، و Euromed Droits إلخ).

33 المجلس الوطني لحقوق الإنسان «الخلاصات الأولية لبناء وقائع ما جرى خلال «المواجهات غير المسبوقة بمعبر مليلية"، 13/07/2022

كما قرب مدينة سبتة المحتلة[34]. عمليات خلق الانقسام هذه هي أيضا ثمرة لبرامج الشراكة الدولية الموجهة إلى المغرب. في الغالب فإن برامج الشراكة الدولية المخصصة للاجئين أو المهاجرين في المغرب تساهم في إنتاج التمييز، ولو بشكل غير مباشر، بين الجماعتين، وأيضا مع جماعة المغاربة.

العنصرية والتمييز على الحدود

في هذا المسار للهجرة، أن تكون شخصا من ذوي البشرة السوداء، فهذا يعني أن تواجه خطر العبودية وسوء المعاملة في ليبيا. معاملة تشرح سبب وصول مئات السودانيين إلى المغرب الذي كانوا يرون فيه في البداية بلادا آمنة، وبوابة لدخول أوروبا. غير أنه، وكما يتأسف لذلك السودانيون اللاجئون في المغرب، فإنهم يتعرضون للعنصرية على شاكلة كل المهاجرين ذوي البشرة السوداء في المغرب. مسألة أنهم يتحدثون باللغة العربية وأن ثقافتهم مسلمة، لا يغير شيئا من المعاملة التي يتعرضون لها من طرف السلطات المغربية، خاصة في المناطق الحدودية. خلافا لليمنيين والسوريين، الذين استطاعوا الاستقرار وكراء منازل في الناظور، فإن اللاجئين السودانيين يعيشون في وضعية تهميش شبيهة بتلك التي يعيشها المهاجرون من غرب إفريقيا ومن إفريقيا الوسطى في مدينتي الناظور ووجدة. حسب استطلاع للرأي أنجزته جمعية «شسغناس للثقافة والتنمية» في الناظور مع نحو أربعين مهاجرا يوجدون في هذه المدينة، فإن «***92* في المئة من المشاركين أعلنوا أنهم كانوا عرضة لممارسات عنصرية. اعتبر *23* في المئة منهم أن لون البشرة كان هو السبب الرئيسي في هذه العنصرية**». هذه الدراسة نشرت نتائجها في تقرير المجلس المدني لمكافحة كل أشكال التمييز[35]

رصاص موجّه للنساء على الحدود

على تقاطع أشكال التمييز المتعددة هذه يوجد التمييز على أساس الجندر (النوع). أول ضحايا الحدود هذه هنّ الأمهات. حركة عائلات المفقودين في المغرب[36] وفي أماكن أخرى [37] كانت دوما الأمهات هنّ من يحملنها على عاتقهن ويناضلن في الأماكن العمومية من أجل منح كرامة أخيرة للضحايا على الحدود. تميزت الحركة ما بين عامي 1990 و2000 للعائلات في المغرب، بحضور النساء حول الجمعية المغربية لضحايا الهجرة السرية. اليوم، هذه الحركة هي تقريبا حكر على النساء. تلعب النساء دورا شجاعا في الدفاع عن صوت العائلات. هذه الحركة

34 يمكن الاطلاع على تقارير الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، فرع الناظور، ما بين 2015 و2021

35 État des lieux des discriminations au Maroc, 2018, https://www.gadem-asso.org/wp-content/uploads/2018/05/Rapport-Conseil-civil-fran%C3%A7ais-1-compress%C3%A9.pdf

36 ENASS, Haraga marocains : D'Oujda à Zouara en Libye, https://enass.ma/2021/09/20/haraga-marocains-doujda-a-zoua-(ra-en-lybie (consultée le 26/10/2022

37 حركة أمريكا اللاتينية لعائلات المهاجرين المفقودين معروفة بعملياتها التاريخية للتعبئة. منظمة الهجرة الدولية «قافلة المهاجرين» المنسية: انطلاقة تاريخية لحركة عالمية لعائلات المفقودين، بلاغ صحفي، 06/11/2018 . يمكن الاطلاع عليه على الرابط:
https://www.iom.int/fr/news/la-caravane-de-migrants-oubliee-lancement-historique-du-mouvement-mondial-des-familles-de-disparus

تدعمها «جمعية مساعدة المهاجرين في وضعية صعبة» في وجدة. تقدم هذه المنظمة غير الحكومية عملا أساسيا في التنسيق وجمع المعطيات من أجل إبراز حجم هذه الظاهرة، التي يتم التغاضي عنها.

تظهر الأخبار المأساوية للهجرات أيضا تأنيثا لعمليات العبور البحري. وهن أيضا يسقطن ضحايا لرصاص حراس الحدود. نتذكر جميعا الطالبة المغربية حياة بلقاسم، التي كانت تبلغ 20 عاما وتنحدر من تطوان، التي أسلمت الروح نتيجة لإصابتها بطلقات البحرية المغربية في عام 2018. بعد أربع سنوات، في 23 أكتوبر 2022، أعلن فرع الناظور للجمعية المغربية لحقوق الإنسان، أن مغربية توفيت نتيجة أحداث شبيهة في المياه الجزائرية، هذه المرّة. توفيت فوزية بلكوش، 30 عاما التي تنحدر من مدينة أحفير، نتيجة للإصابة برصاص البحرية الجزائرية خلال تدخل لإيقاف قارب كان يُقلّ مهاجرين متوجهين إلى السواحل الإسبانية[38].

في 12 شتنبر/سبتمبر 2022، توفيت مهاجرة من إفريقيا جنوب الصحراء قرب شاطئ أخفنير، جنوب المغرب، جَرَّاء إصابتها بطلق ناري من طرف الدرك الملكي المغربي خلال عملية لمنع انطلاق قارب إلى جزر الكناري[39]. هذه المهاجرة ما زالت مجهولة الهوية، ومن دون اسم، دون أن نعرف جنسيتها، ودون أن يفتح تحقيق من أجل تحديد ملابسات وفاتها بشكل دقيق.

متضامنون، برأس مرفوعة

عودة إلى الناظور، حيث وضعت جمعية «تسغناس للثقافة والتنمية»، ومنذ عام 2018، مشروعا للدعم الإنساني والمساعدة العاجلة للقاصرين غير المرافقين المغاربة والأجانب. إنه برنامج نادر لا يقوم بالتمييز ما بين هاتين الفئتين من المهاجرين. على الميدان، فإن اللقاء بين الجماعتين ليس سهلا. «**نادرا ما يلتقي القاصرون المغاربة والأجانب، على الرغم من محاولاتنا لتنظيم أنشطة ترفيهية أو رياضية لخلق فرصة للقاء بينهم لكي يتبادلوا قصص واقعهم، لكن التواصل لا يتم دوما. رغما أنهم يتشاطرون نفس التجربة من الهشاشة الكبيرة، فإنهم لا يتقاسمون نفس العالم**»، يلاحظ جعفر، المسؤول عن مشروع جمعية تسغناس. في مشاريع أخرى تظل الحدود مرسومة ما بين المهاجرين ووضعهم، ما يترتب عنه خلق حالات من مشاعر الإحباط، لدى الطرفين. وهو انفصال تغذيه مشاريع المساعدة على التطوير وأولوياتها وأجنداتها...

على طرق الهجرة فإن الشباب الأفارقة، سواء أكانوا مغاربة أو من إفريقيا جنوب الصحراء، يُظْهرون تضامنا مع بعضهم البعض. خلال أحداث سبتة في ماي 2021، حاول الشباب المغاربة ومن العديد من دول إفريقيا السوداء، اجتياز الحواجز ما بين 16 و17 ماي 2021. صورة الشاب الأسود البشرة الذي يطلب المساعدة ويهب لنجدته شبان مغاربة ستظل محفورة في الأذهان. هذه الصورة لإفريقيا، تلك التي في الأسفل، وللشباب المحرومين، الذين يتضامنون فيما بينهم. هؤلاء الشباب المغاربة تخلوا في لحظة من الزمن عن هدفهم في الوصول إلى ساحل سبتة من أجل إنقاذ أخيهم الإفريقي، أخيهم الإنسان. تظهر على نفس الصورة وجوههم التي تعلوها ابتسامة كبيرة، ورؤوسهم مرفوعة في مواجهة سياسات الهجرة القمعية.

38 بيان للجمعية المغربية لحقوق الإنسان، فرع الناظور، في 23 أكتوبر 2022 قال إن جثمانها سيتم نقله في الأيام المقبلة إلى المغرب، في حال فتح الحدود بشكل استثنائي بين الجزائر والمغرب
https://web.facebook.com/photo?fbid=486056160226769&set=a.460765349422517

39 ENASS, Drame Akhfennir, ce que l'on sait, https://enass.ma/2022/09/14/drame-akhfennir-ce-que-lon-sait/ (consultée le (26/10/2022

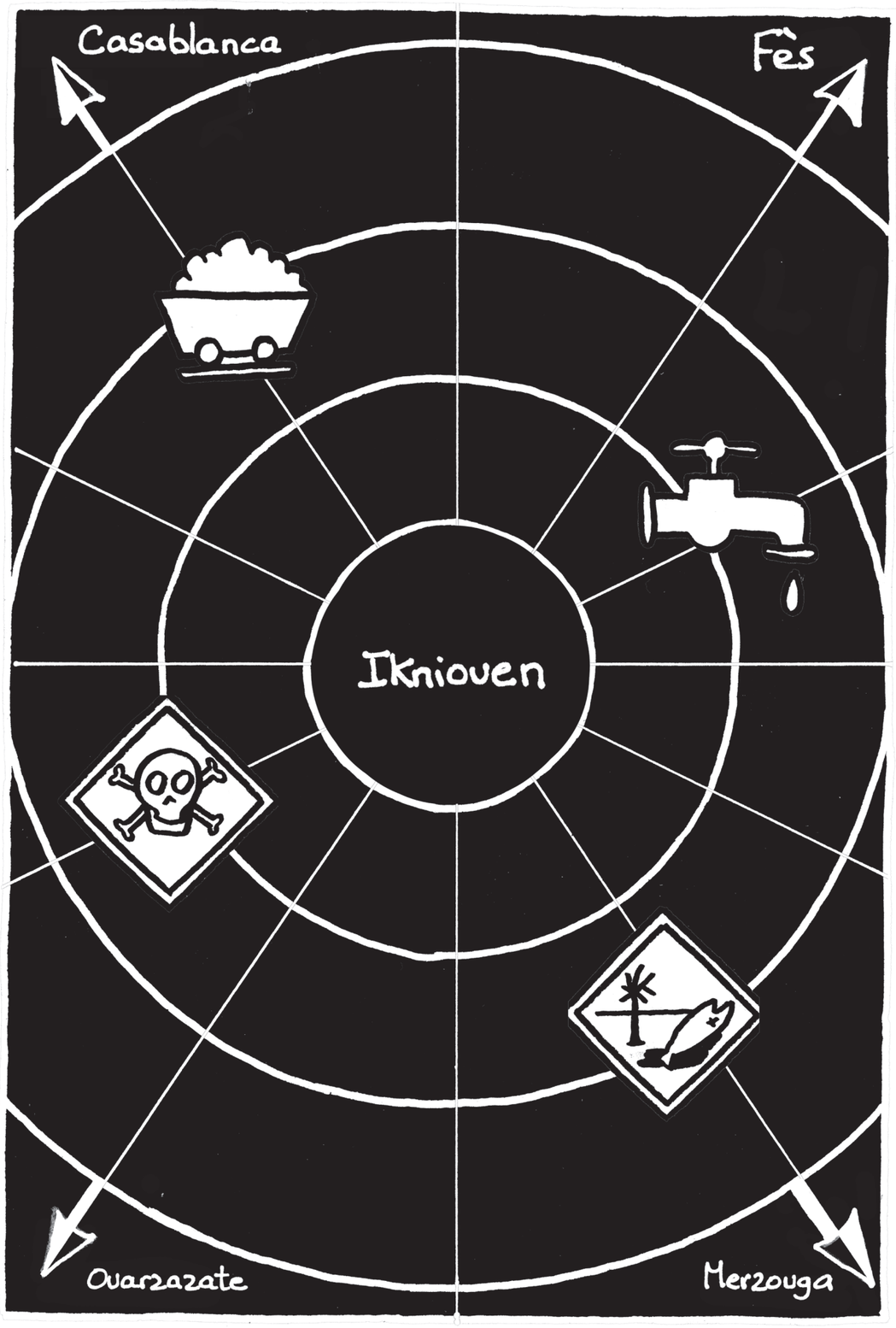

للفنانة رينب بنجلون

6

إكنيون : ما بين عدم المساواة السوسيو-اقتصادية والكوارث البيئية

إذا ما كانت بعض مناطق المغرب قد خصص لها غلاف مالي لإنجاز استثمارات في مجال البنيات التحتية (الطرقات، الكهرباء، المياه، إلخ) فإن الواقع مختلف كليا في منطقة الجنوب الشرقي للبلاد، حيث عدم المساواة السوسيو-اقتصادية ما تزال قائمة. بالنسبة إلى سكان الجماعة القروية إكنيون التي تنتمي إلى إقليم تنغير فإن تشابك مظاهر عدم المساواة والإشكالية البيئية، تصيبها بشكل مباشر، وتخلق أشكالا من التمييز التقاطعي تحت شعار: المعاناة، الإحباط، واليأس. ربورتاج.

بقلم نعيمة الشرعي

القيام بمقاربة تقاطعية من أجل تحديد أشكال التمييز التي يتعرض لها السكان المهمشون في المناطق القروية في تنغير ليست بالمهمة الهينة، خصوصا أن الأرقام والمعطيات الرسمية نادرة. من أجل تجاوز هذا النقص، قمنا بالانتقال إلى الإقليم في جهة درعة تافيلالت.

إكنيون، جماعة قروية متخلى عنها

الوجهة إلى جهة درعة تافيلالت. بحسب المندوبية السامية للتخطيط، فإن مستوى غنى السكان هو أقل من باقي الجهات الأخرى، والناتج الداخلي الخام بالنسبة إلى الشخص الواحد يصل إلى 16, 201 درهما، أي الأقل على المستوى الوطني. أما فيما يتعلق بنسبة الفقر، فإنها تجاوز 14,6 في المئة أي أنها مرتفعة بـ 3 أضعاف المستوى الوطني. أما نسبة البطالة فيها فمرتفعة بالنسبة إلى جميع الشرائح العمرية: 23 في المئة بالنسبة إلى (15-24 سنة)، 51,1 في المئة للشريحة العمرية (25-34 سنة)، 56,9 في المئة للشريحة العمرية (35-44 سنة) و45 في المئة (لمن يبلغون 45 سنة أو أكثر).

يرافقنا إبراهيم[40] في هذه الرحلة، وهو ناشط جمعوي. يعرف جيداً هذه المناطق القروية لأنه عاش فيها منذ ولادته. كيف يستطيع الناس تدبّر أمورهم في هذه المنطقة؟ كيف يعيشون يوميا هذه الفوارق؟ بالنسبة إلى هذا الفاعل فإن «**الفوارق وعدم المساواة التي تعيشها الساكنة هي موضوع يتمّ السكوت عنه في غالب الأحيان. هو موضوع نادراً ما يتم التطرق إليه في وسائل إعلامنا**»، يتأسف.

وجهتنا هي إكنيون. ربما قد يعني لكم هذا الاسم شيئا... نحن في قلب منطقة قبائل آيت عطا، رمز المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في عام 1933. تقع على بعد 45 كيلومتراً من بومالن دادس و55,7 كيلومترا عن تنغير. هذه الجماعة التي توصف بالبؤس والتهميش، ترمز إلى ضيق يد الحال والفقر الذي ينتشر في هذا المجال الجغرافي.

بالنسبة إلى البنيات التحتية لا يوجد شيء تقريبا. فالطريق التي تقود إلى إكنيون انطلاقا من بومالن دادس في حالة مزرية، ما يشكل مشكلة حقيقية لسائقي السيارات. ما إن نصل إلى المكان، نكتشف أن الجماعة لا تضم أي دور للشباب، أو ملاعب قرب، أو قاعات الرياضية متعددة الاستعمالات، ولا توجد مكتبة، إلخ. المركز الصحي ليس مجهزا بالشكل الكافي والسكان يجدون مصاعب في أن يجدوا فيه طبيبا. بحسب الباحث مصطفى الحسناوي، الدكتور في الجغرافيا والتجهيز وتنظيم المجالات في جامعة الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر في أكادير، فإن «**نسبة الوفيات بسبب عامل بشري تصل إلى أربعين في المئة من العدد الإجمالي للوفيات في المنطقة. هذا الارتفاع مردّه غياب العلاج الأولي، والمستعجلات، والأطباء المختصين**». أما في ما يخص إشكالية التعليم فإن تطورا تم تحقيقه مع 95 في المئة من الأطفال الذين يلجون إلى المدرسة الابتدائية. رغم ذلك فإن المدارس الموجودة لا تعمل بنفس منطق الأقسام المشتركة. في واقع الأمر فإن قسماً دراسياً واحدا يضم ثلاثة مستويات دراسية مختلفة.

بالمقابل فإن الفلاحة وتربية المواشي الرعوية تحتل مكانة هامة في إكنيون. لكن يتعلق الأمر هنا بأنشطة معيشية لا يتم تدبيرها إلى حدود اليوم بطريقة عصرية. إلى هذا تنضاف أزمة نقص المياه: «**منذ عدة أعوام نعاني من نقص المياه. لقد قررت البلدية أن تقطع المياه الصالحة للشرب لمدة *21* ساعة يومياً من أجل مواجهة ندرة**

40 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

المياه. لا تصل صهاريج الجماعة دوما إلى الدواوير المحيطة. تعاني أراضينا من الجفاف. ومردودها ضعيف فيما تموت قطعاننا من العطش. إنه أمر كارثي!»، يحكي لنا أحد المربين للمواشي. «**تجبر ندرة المياه من أجل سقي المواشي وقلة الأعشاب في المنطقة بعض المربين إلى التوقف عن نشاطهم. أما آخرون فيقررون البحث عن موارد في مناطق أخرى**»، يوضح لنا. يأسف لأن الفلاحين في هذه المناطق لا يحصلون على تعويضات عن خسائرهم كما يحدث في بلدان أخرى.

وفق مرافقنا إبراهيم، فإن إشكالية نقص المياه مرتبطة في جزء منها بالتغيرات المناخية، والاستغلال المفرط للموارد المائية الجوفية. ويسرّ لنا بإن إكنيون تضم حاليا ما يناهز 2000 بئر غير قانونية، بعضها مهجورة. «**يحتاج الناس إلى الماء للشرب. لهذا السبب يقومون بحفر آبار أكثر مما مضى. يمكن أن تحفر سبعة آبار قبل أن تجد موضعا يوجد فيه الماء**»، يشرح لنا.

في ما يخص العمل فإن الوضع تدهور منذ الأزمة الصحية لكوفيد 19، كل الفاعلين الجمعويين يؤكدون ظاهرة ارتفاع أعداد الشباب العاطلين عن العمل. «**يُعرف عن المناطق الجبلية في تنغير إنتاج التفاح والمشمش والنخيل، على الرغم من هذا فلا يتم إعطاء قيمة للمنتجات المحلية**»، يوضح عبد الرحمن بنعمر، الفاعل الجمعوي في إكنيون. أمام الغياب الذي لا شك فيه لمشاريع التنمية الهادفة إلى خلق دينامية اقتصادية وفرص شغل، فإن شباب هذه المنطقة والمناطق الجبلية المجاورة، الذين يحلمون بوضع أفضل، لا يفكرون إلاّ في الهجرة. أصلا، فإن زيارتنا إلى الجهة التي تزامنت مع عيد الأضحى، يمكن أن تؤكد على هذا الواقع. لقد شهدنا في يوم الاثنين 11 يوليوز 2022 على متن حافلة ركبناها من الدار البيضاء وكانت وجهتها بومالن دادس أشخاصا ينحدرون من سكور وإكنيون أو أيضا قلعة مكونة. ركاب الحافلة يعملون في غالبيتهم في الدار البيضاء والرباط ويعودون خلال هذا العيد الديني، الذي ينتظرونه بفارغ الصبر، لقضائه مع عائلاتهم.

إذا كان إقليم تنغير يحاول منذ عام 2017 أن يتخلص من الفوارق وعدم المساواة خاصة تلك التي تعيشها ساكنة الجبال، «**فإن النتائج يصعب لمسها، بحكم أن هناك مسافة واسعة ما تزال قائمة بين هذه المنطقة وباقي المناطق في البلاد**»، يحلل أحمد صدقي، النائب البرلماني السابق عن حزب العدالة والتنمية. صدقي هو أيضا فاعل جمعوي في المنطقة، يناضل من أجل أن تستثمر الدولة في خط سكك حديدية جديد يربط ما بين الرباط وتنغير حيث تتراكم التأخرات وحوادث السير، وأيضا جسر تيشكا. «**سبق أن أنجزت دراسة في عهد الحكومة السابقة. يجب العمل الآن لأنه فيما بعد سيكون قد فات الأوان**»، يختم.

رغم مجهودات المرافعة هذه، فإن أحد القرويين الذي التقيناه في مقهى في بومالن دادس، أسرّ لنا: «**لا أنتخب لأنني على يقين أن كل الأحزاب السياسية تتشابه**». إحساس الخذلان هذا يقتسمه إبراهيم، مرافقنا الفاعل الجمعوي، يقول: «**منذ عدة عقود نتأسف لحالة الإهمال لهذه المنطقة. لقد تعبنا من الوعود الكاذبة للسياسيين. يعاني الناس من عدم المساواة. والكثير من الجماعات القروية أصبحت تفقد سكانها. إذا لم نقم بشيء فإن هذه التباينات ستتراكم بشكل أكبر. وسيكون الموت حتميا للمناطق القروية هذه!**».

تيغيسا: التضحية بالبيئة في سبيل الاستغلال المنجمي

تصنف جهة تنغير ضمن أهم الجهات المنجمية في المغرب. وتحتل المرتبة السابعة دولياً في إنتاج الفضة. بحسب الخبراء، فإن مؤهلاتها تظل الأهم من ضمن كل الجهات. في تنغير فإن المشاريع المنجمية موجودة أساساً في المناطق المعزولة والتي لا يقطن فيها سكان كثيرون.

على الرغم من هذا، فإنه رغم هذا النشاط هناك واقع أقل بريقا. يظل بعض السكان مقتنعين بأن هذه الأنشطة المنجمية أدت إلى جفاف مجاري المياه وأن أطنان المخلفات الكيميائية التي تتخلص منها المناجم تستمر في تسميمهم على مهل. في الواقع، فإن مستوى التلوث الحقيقي ما زال يحتاج إلى الدراسة، لكن الخوف، هو واقع ملموس. في القرى المجاورة لهذه المناجم يتحدث السكان عن إصابات بطفوح جلدية، وحالات إجهاض، وحيوانات ميتة، وتسمم آبارهم بمخلفات سائلة، وسحب سامة تنتج عن مصانع المناجم... يبدو التوازن البيئي هشّا مع تغيير مجرى المياه أو تلويث الأنظمة البيئية التي تتداعى.

إذا كان إنجاز دراسة عن الآثار الجديّة على البيئة يجب أن يكون جزءا من أي مشروع منجمي فإنه يبدو أن منطقة تنغير لم تقم بالتجربة، وبحسب الجمعيات وبعض المنتخبين من المنطقة فإنه «**لا يوجد أي احترام للبيئة**»، كما يتأسف عزيز[41] وهو مناضل نقابي في الكونفدرالية الديمقراطية للشغل. «**هذه الشركات لا تخضع لأي قواعد. حتى المياه الباطنية يتم تلويثها بسبب المخلفات السائلة التي تأتي من المناجم**»، يؤكد النقابي نفسه. يتهم السكان الشركات باستنزاف موارد قريتهم.

«**منذ أن استقر المشروع في قريتنا ابتدأت المياه في التقلص شيئا فشيئا والإنتاج الفلاحي أيضا**»، يؤكد حسين أوعلي بدوره، وهو من سكان تيغيسا الشباب، وهي القرية التي توجد في الجماعة القروية إكنيون. نلتحق به في عين المكان بعد بضعة أيام لنلاحظ بأم أعيننا واقع المنطقة.

مباشرة قبل الدخول إلى القرية نعبر طريقا غير معبدة. «**تحقق الشركة مداخيل مالية هامة ولم تقم حتى بتعبيد الطريق. هذا ما يسمونه بالمسؤولية الاجتماعية للشركة!**» يتهكّم مرافقنا. ينظر إلى منجم الذهب في تيويت، التي تستغلها منذ ما يقارب عشرة أعوام شركة (كو كومباني) « Co-Company» وهي شركة ذات رأسمال مال مغربي وكندي.

يعيش في قرية تيغيسا أربعة آلاف شخص (أي 150 عائلة) يعبرون كلهم عن مشاعر بعدم المساواة، مقابل البنيات التحتية غير المتوفر وندرة المياه. يتم إهمال اليد العاملة المحلية لصالح عمال ينحدرون من بني ملال أو أيضا من مراكش بحسب سكان القرية. بعض الشباب من دوار تيغيسا يعملون في هذا المنجم بطريقة مؤقتة ويعانون من ظروف عمل قاسية، دون عقود عمل قانونية ولا تغطية صحية أو اجتماعية، ويخشون أن تتم إقالتهم في أي لحظة. أما بالنسبة إلى النساء فإنهن يقطع كيلومترات عدة من أجل جلب المياه من عين توجد في جبل بوشلف، على ارتفاع أكثر من 2000 متر.

41 استعملت أسماء مستعارة للأشخاص الذي قدموا شهادتهم في هذا التحقيق، وطلبوا عدم الكشف عن هويتهم

«**لقد توقف الناس عن شرب مياه آبارهم لأن الفرشة المائية للقرية ملوثة**»، يؤكد حسين أوعلي. إنه من استقبلنا في بيته الذي يوجد على بُعْد بضعة أمتار من منجم الذهب في تيويت، الذي استقر في القرية منذ عام 2012. «**وضعية السكان في عين المكان لم تتغير كثيراً منذ استقرار هذا المنجم فوق النهر وأراضينا الفلاحية**»، يشرح حسين أوعلي «**هل تريدون معرفة ما الذي جناه السكان من هذا المنجم؟ لا شيء! تأثرت زراعتنا سلباً بسبب المخلفات المُلَوِّثة التي يسكبها المصنع**»، يؤكد لنا.

في الواقع فإن القرية اهتزت أكثر من مرة على وقع فضيحة بيئية تمثلت في المخلفات السائلة لرصيف داخل موقع الاستغلال في المنجم يمتد أحيانا على مسافة 600 متر في نهر تيغيسا وعلى الأراضي الفلاحية المجاورة، كما كان الحال في عام 2015. « **كانت المخلفات تضم مادة السيانيد**»، يوضح حسين.

بعد ظهور حالات مرض في القرية نظمت جمعية «البنك الغذائي» بشراكة مع جمعية المواطنة الفاعلة، قافلة طبية في القرية المنكوبة، في أبريل من عام 2016. كان التشخيص دامغاً بعد الفحوصات الطبية التي أجراها فريق من 72 طبيبا على 800 شخص. يؤكد التقرير الذي نملك نسخة منه أن طفوحا جلدية وهيجانا على مستوى الأعين، تم الكشف عنهما لدى القرويين. بالنسبة إلى الأطباء فإن وجود السيانيد ومواد سامة أخرى هو السبب في هذه الأعراض.

موحا أوعلي، 65 سنة، وأب الشاب حسين، لديه صلابة وعزم سكان هذه القرية المعزولة في تنغير، ولا يخفي غضبه. يتحدث عن آخر تسرب في دجنبر 2021، «لمخلفات منجمية»، من نفس الرصيف الذي يثير المشاكل. «**لقد انتشرت المخلفات على مسافة خمسين متراً في النهر وعلى أراضينا الزراعية**»، يحكي محدثنا، ويضيف «**الأكثر إثارة للقلق، هو أن الماعز والطيور توفيت مباشرة بعد أن شربت من المياه التي تسربت من المصنع. اليوم، أصبح الوضع لا يطاق. وهو غير مطمئن بحسب ما يحاول أن يفهمنا إياه المسؤولون عن المنجم. إذا لم يتم القيام بأي شيء، قد تقع كوارث أخرى قريبا، لأن الرصيف الذي يتسبب في المشاكل مليء عن آخره حالياً بالسوائل الخطيرة. هذا لتعلموا حجم الخطر الذي نتعرض له هنا!**»، يقول رب الأسرة. «**على السلطات المحلية أن تتحمل مسؤوليتها. ما نريده هو تعويض عن كل الأضرار التي تعرضنا لها بسبب الأشغال في هذا المنجم**». لكن مطلبهم يظل إلى اليوم دون أذان مصغية.

هذا الاستنتاج يوافق عليه داوود أرجدال، رئيس جمعية «إيتبرين بومالن» في تيغيسا، ونائب رئيس جماعة إكنيون. «**المواد الكيماوية ومن ضمنها السيانيد التي تستعمل من طرف مستغلي المنجم لمعالجة الذهب تخترق الفرشاة المائية وتؤثر في الزراعة والبيئة، دون أن تقدم أي قيمة مضافة**». يحذر أرجدال من أن «إكنيون بحاجة إلى عدة بنيات تحتية. فرغم أن مناجم هامة تحيط بالجماعة إلا أنها لا تساهم بأي حال في التنمية الاجتماعية والاقتصادية»، يؤكد لنا.

منذ بداية هذه الكارثة البيئية لعب المجتمع المدني دور «مطلقي الإنذار». **«لم نكلّ عن الحشد ضد الأنشطة الملوثة. التسرب الكيماوي الكبير في تيغيسا عام *2015* كان المناسبة من أجل أن نسلط الضوء على عدد من الأسئلة التي ظلت مطروحة بخصوص هذه الأنشطة»**، يذكر بذلك الفاعل الجمعوي عبد الرحمن بنعمر. في رسالة موجهة إلى رئيس الحكومة والوزراء المعنيين، قامت عشرون جمعية بالمطالبة بالقيام بتقييم للأضرار لتقدير نتائج الحادثة وما هي انعكاساتها على الفرشة المائية. هذه التعبئة بصمت على عودة صراع شديد بين المستغلين وبين النسيج الجمعوي. نجح هؤلاء برفقة المجتمع المحلي في آخر المطاف في الضغط على وازرة الطاقة والمعادن والماء والبيئة، التي بعد القيام بتحقيق، أمرت بوقف أعمال الاستغلال في المنجم بسبب عدم احترام دفتر التحملات.

بعد الفضائح البيئية التي ترتبت عن منجم تيويت، استبشر المجتمع المدني خيرا بقرار الوزارة. هذا النجاح الصغير الذي انتزعوه شكّل بارقة أمل من أجل الوقف النهائي للأنشطة المنجمية في المنطقة، وذلك من أجل تفادي تكرار مثل هذه الحوادث. لكن، وبعد أسابيع قليلة تلت المفاوضات، استعاد المستغلون نشاطهم بعد أن وعدوا أن يقوموا بإصلاحات لتفادي كارثة بيئية أخرى. «**وعد لم يف به المستغلون**»، يتأسف بنعمر.

اليوم، وللمرأة الألف نزل خبر يثير الانتقادات: مناجم أخرى سترى النور قريبا في المنطقة نفسها، كما علم السكان. «**ما الذي يشعرون به؟ شعور بعدم الفهم وبالإحساس بالظلم! كيف يمكن أن نشرح للسكان الذي يعيشون في مناطق مهمشة أن مناجم جديدة سيتم إنشاؤها، على الرغم من أن شباب المناطق حيث استقرت المناجم ما زالوا يعيشون في وضعية البطالة، وأننا نرى الفقر والإجحاف مستمرّين؟**» يتساءل إبراهيم. تظل هذه الأسئلة مثلَ أسئلة أخرى بدورها من دون إجابات.

HEINRICH BÖLL STIFTUNG
الرباط
المغرب

المؤلفون: ، هشام حذيفة، دنيا ز.مسفر، صلاح الدين لمعيزي، ونعيمة الشرعي
رسوم: زينب بنجلون
المترجم: محمد الخضيري
الناشر: مؤسسة هاينرش بول الرباط-المغرب
المنسقة: لبنى اليوسفي
تصميم وطباعة: GraphoPub
تاريخ النشر: دجنبر 2022

نشرته مؤسسة هاينرش بول الرباط-المغرب 2022

يحق لكم تقاسم وتوزيع ونقل هذا المحتوى بكل الطرق وعبر كل الأشكال بحسب الشروط التالية: الإحالة على الناشر - يجب عليكم أن تشيروا إلى الكتاب وأن تضيفوا رابطا له، وتشيروا إلى كل التغييرات التي أضيفت، يمنع استعماله لأغراض تجارية - لا يحق لكم أن تبيعوا هذا الكتاب بأكمله أو أي جزء منه، ولا يحق لكم تعديله - في حال ما إذا قمتم بعملية دمج، أو قمتم بتحويله أو صناعة محتوى انطلاقا من الكتاب الأصلي، لا يحق لكم توزيع أو توفير العمل الذي قمتم بتغييره.

Heinrich Boll Stiftung Rabat - Maroc
The Green Political Foundation
17, Rue Tiddas, 10010 Rabat,Maroc
05 37 20 20 93/94
ma-info@ma.boell.org
www.ma.boell.org